

فتى رضوان

اقرأ

أخى المواطن

دار المعارف بمصر

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY



3 8534 01068 7329

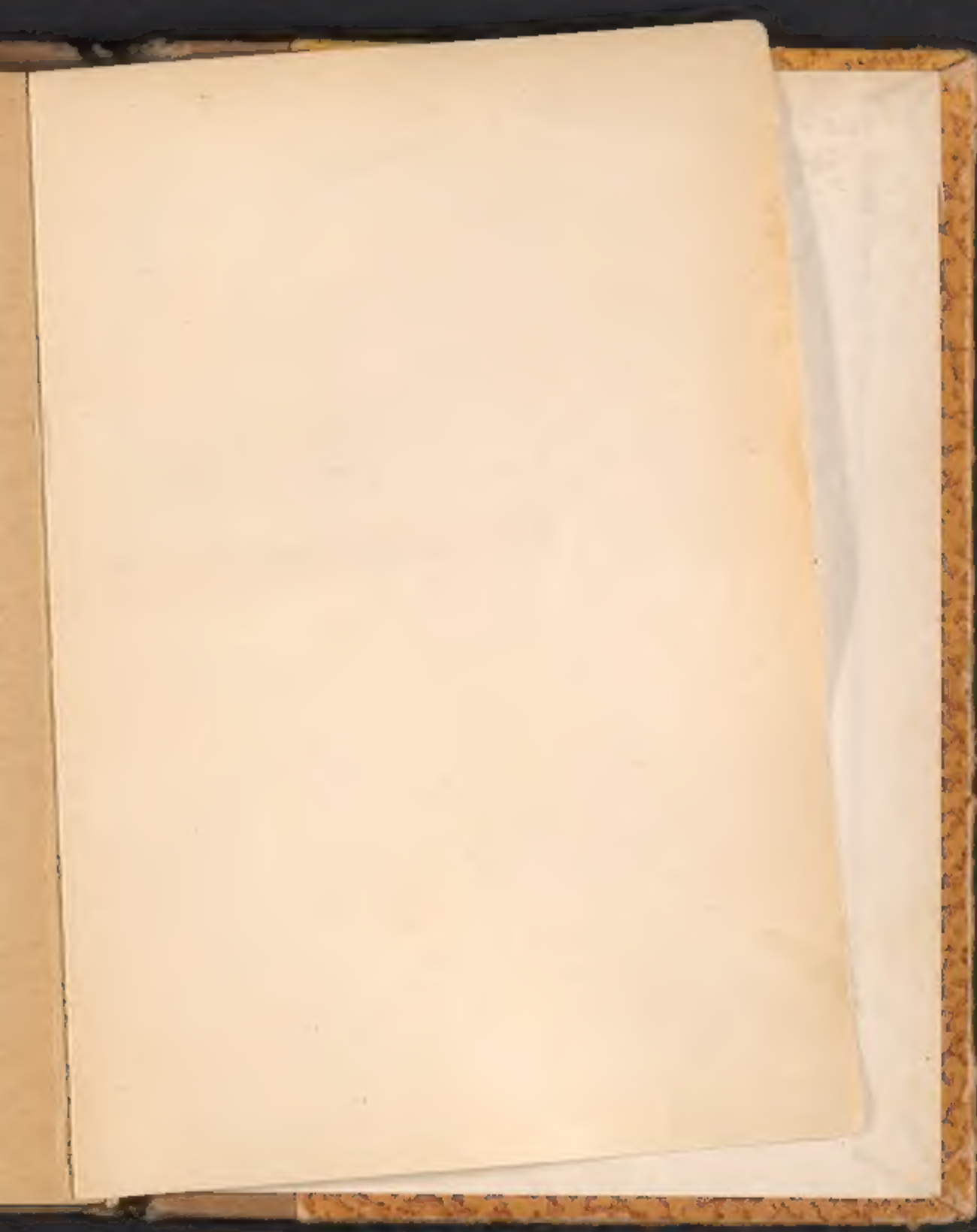
00-87947

PJ 20-11-00

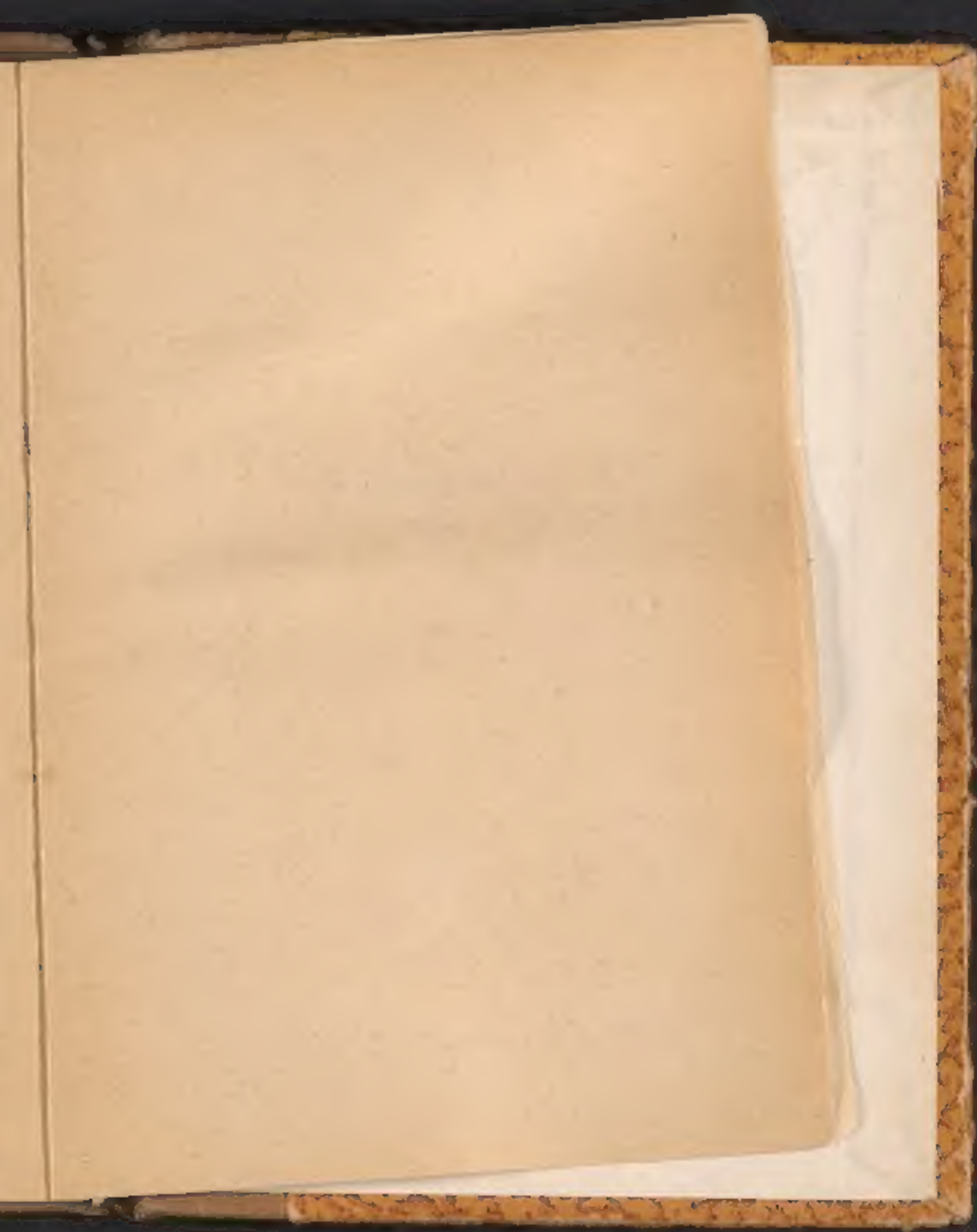


لسم الله الرحمن الرحيم





أخى المواطن



فهي عنوان

DT

107

R3X

1955

أفهي المواطن

١٤٨

اقرا

دارالمعارف بمصر

أقرأ ١٥٨ - أبريل سنة ١٩٥٥

٣٢٠، ١٥٨
رف. ١



جميع الحقوق محفوظة
لدار المعارف بصر

37533

تمهيد

تقول السيدة كوييل ، وهي من علماء الآثار المصرية في كتابها « التاريخ والفن المصري » لقد وقفنا على قدر عظيم من الحقائق المثيرة للاهتمام ، من الفحص الدقيق للمومياءات المصرية التي احتفظت ببعضها كلية الجراحين بلندن ، ومناحف التشريح الأخرى . . فقد قيل كثيراً إن الجنس المصري هو مزيج من دمائه أجناس مختلفة ، وإنه تأثر بالغزاة القادمين من الشرق ومن الجنوب ومن الغرب . وقد يكون هذا حقاً ولكن الحقائق التشريحية أثبتت أن أقدم فلاح سكن وادي النيل ، هو من حيث بناؤه وطول قامته ، أشبه ما يكون بفلاح اليوم ، فمن الراجح أن الشعب المصري ، يمتاز بقدرة على هضم العناصر الغريبة .

ولست أدعى أنني أفهم شيئاً في علم التشريح ، ولا في علم الأجناس ، ومع ذلك لست أظن أن من يعتبرهم الناس علماء تشريح وأطباء ، يلقون القول جزافاً حينما يقولون إن المصري الذي عاش في مصر منذ أربعة أو خمسة آلاف سنة ، هو من حيث الصفات التشريحية نفس الفلاح الذي يعيش

اليوم . وإن هذه الآلاف التي غيرت كل شيء ، حتى
الحمد الذي لا ينطق عجزت عن أن تغيره .
وليس هذا وحده ، من حقائق العلم ، هو ما يساورني ،
وأنا أقدم هذه الخواطر ، التي تدور كلها حول « القومية
المصرية » .

فأنا أذكر مثلاً أنه منذ أربعة آلاف سنة ، لاحظ
المصريون ، أن الشعري الجمانية وهي نجم في السماء ، تشرق عند
شروق الشمس في يوم من أيام الصيف ، وهاتهم الملاحظة إلى
أن هذا اليوم هو يوم اكتمال فيضان النيل . وتكرر شروق هذا
النجم في هذا اليوم من الصيف ، وتكررت مصاحبة شروقه ،
لاكتمال الفيضان ، فاعتبروا هذا اليوم الذي يرد إليهم فيه الماء
الذي يملأ أرضهم بالخصب ، ويفيض عليهم بالخير ، ويزود
واديهم بالحياة أول أيام السنة . وقسموا سنتهم قبل أية أمة أخرى
إلى اثني عشر شهراً ، وجعلوا كل شهر ثلاثين يوماً ، كما قسموا
السنة إلى ثلاثة فصول :

فصل الفيضان ، وفصل الربيع ، وفصل الحصاد . . .
فكان ذلك أول إدراك لمعنى الزمن ، وأول ضبط لرحفه
المستمر ، الذي يطوى الأفراد والجماعات والشعوب . .
وبعد ذلك بقرون طويلة ، التفت غير المصريين إلى السماء

واستوقف نصرهم القمر وانتظم ظهوره في السماء كل فترة من الزمن . وحسبوا أيامهم على دوراته في السماء . فكان حساباً خالياً من الضبط والاستقرار .

فما الذي أوحى إلى مصريين . في هذه الحقبة الموعلة في القدم . أن يقيموا حسابهم على حتماء هذه الظاهرة الدقيقة من طواهر السماء . ونبتت ظاهرة من مظهر طبيعي .

قل أن تعجب على هذا السؤال . أدعوك إلى التفكير في سؤال آخر هو . متى تمت الوحدة لمصريين قومية . فاد تقول إن هذه الوحدة كادت في عهد مسا وعلى يده وهذا غير صحيح . فصر . عرفت الوحدة مرراً قبل أن يولد مينا . فقد توحدت مديريات وجه نحري قبل ذلك التاريخ بكثير . واجتمعت حول عاصمتين . دمن حور (دمنهور) في عرب . واورير (أبو صير) في الشرق ثم اجتمعت كلها في عاصمة (بونت) كما توحدت مديريات الوجه على في حكومة عاصمة (ست) . ثم اندمجت المديريات في شهاب ونحوب . مرة بعد مرة . قبل أن تصبح شيئاً واحداً . نصفه هائية . حتى يومنا هذا على يد مينا . . .

فهل تعرف شعباً آخر . عرف الوحدة بكلمة . في هذا عصر لما ذهب إلى أبعاد أقدم إن أكثر الشعوب التي

تقود اليوم اعالم لم تعرف لوحدة القومية إلا من صرع قرون .
 وبعضها لم يخلص على ميلاد قوميته إلا قرن من الزمان وقيل من
 السنين . ومع ذلك قد خاضت في سبيل الوصول إلى هذه
 القومية ، في بحر طام من الدماء . وفوق حجاب شائعة من
 الجمال والأشلاء . وهي لا تزال تحرق بين - الخين والخين
 إلى الفرقة والشحناء .

ولا ننس أنه حينما تمت وحدة الشعوب جميعا . والأحساس
 كلها . كانت هذه الوحدة سيادة ولاية عليها . على بقية
 الولايات لمكونه بوضن . وإفناء غيرها . فيها . لا مصر . فقد
 كدت بوحدة نروجا . بين الشمال والجنوب . فامثلت . وهو
 من الجنوب . وضع على رأسه تاجاً جمع ما بين تاحي الشمال
 والجنوب معاً . وجعل لنفسه ملك . بين أحدهما باب الشمال
 والثاني باب الجنوب . وقد مسح الشعب على منوال الملك فأصبح
 لكل در باب . ولكن معبد بابل . وكل منى بالدولة بابل .
 وكان الملوك لأمر ولأبيض . وهم أول شمال والجنوب . بوبين
 متقربين في كل حقبة خاصة وفي كل مجمع عام . وفي كل مكان
 ولقد أراد علماء التاريخ والآثار أن يعرفوا متى تبدأ الحضارة
 المصرية ومتى تبدأ في مصر . عهد ما قبل التاريخ . وأوغور .
 هذا هم أمام حضارة لا يسبقها هذا الظهور . من

أطوار اصطولة لإسبانية . أفهم تعرف مصر . عهد ما قبل التاريخ ؟ .

قال علماء . نعم . ٢٠ لم تعرف هذه الصور . ولم تمر به . ولا دليل على أنه مر بها .

وقد كان هذا فرصاً غير معقولة . ولكن العلماء الذين عاشوا بين الحضريات والآثار وقصو حياتهم يستقروا لأمر . ف والأحجار هم الذين كانوا يقولونه ويؤكدونه . حتى جاء علم آخر هو « حكاى مرحال » فاقص ديث « رنى واستبيل » . اندفاع عن رأيه ، حتى ، كتب له الفوز . .

هذه الحقائق العلمية توردت على خاطرى . وأنا أقدم لك هذه الفصول التى تدور كلها حول القومية لمصرية الحديثه ، وعديده هذه الحقائق جميعاً . إن القومية معناه الضام الرقيق ، هى مرادف لمصرية . فصر هى موضع أقدم القوميات . وأصلها ، وأصفاها .

موضع أقدم القوميات . لأن الشعوب الأخرى جميعاً ، عشت عشرات القرون وعصره تتفانى بعضها مع بعض . دون أن نحس بأمرها ما يربطها . أو صراً عماً يحتويها فيما كان المصريون خلال هذه القرون دتها أمة متحدة . يتشابه أسماء الشمال منهم بأسماء الجنوب . فى العادات والعقائد والأرياء وتقيد

ولون الصعد . وشكل نرى . ويبسط ملصق الحاكم فيهم من
 البحر في شتان . حتى ما بعد لشلالات . في أقصى الجنوب .
 ولقد بقي حاكم مكدا . في كل عصر . وفي كل ديس . أو كل
 نظام حكم . يتغير الحاكم . ويتغير الزمن . ويتغير الفكر .
 وتبقى مصر . وبين المصريين ولا أد على حدود هذه الوحدة
 المتأسكة الصلدة . وصدتها ونفاها من أن المصريين اليوم .
 لا يختلف مسجونهم عن مسلمهم لا في السحنة . ولا في النبهة
 ولا في طريقة الحياة . ولا في أسلوب المعيشة . كما أن الأعنية
 الساحقة من المسلمين . يكادون يكونون على مذهب واحد من
 مذاهب الإسلام . على الرغم من المذاهب دنها . لا تؤدي في
 مصر . إلى إقامة فرقة بين مصري ومصري . ومع ذلك إذا
 تجاوزت بطرك حدود مصر في أي نحد . وجدت الجماعات
 الصغيرة . وقد تناهتها أسباب خلاف مذهبي وصدقي .
 فقطعت الأواصر بينها . حتى بات كل معسكر صغير مهم .
 على ضعن وحقد . يصمره للمعسكر الآخر . ولما في صدد
 بيان أسباب هذه الميزة الكثرى التي امتدت بها مصر . وازدادان بها
 تاريخها الطويل . ولكن قد يكون من الخير أن نشير في عجل .
 إلى أن عمصريين هامين هم سدان تعاون على توفير هذه الميزة
 الكثرى لبلادنا . وعلى ههما الصحراء وسيل أما الصحراء . فقد

قامت على حدود مصر من شرق وغرب . كالخرسين ساهرين
 المدين حيا مصر . من الاتباع والموافق غيرها . فنيت لها
 داخل هذين الحدين حصنها حسية وثقوبة . أما الببل فقد
 كان أساس الحصار في مصر . وأساس الحصار الزراعية
 سدات . وهي حضارة حصن حصنها . وأنهر طوبعها
 الاستقرار والثبات والالتصاق بالأرض . فصلا عن أن ارتباط
 كل المصريين من بحر إلى شلالات هذا النهر لأصيل
 للحياة . قد أعاد على إقامة حكمه مركزية وعاد وجود
 للحكومة امركزية . على توحيد ظروف الخياء في مختلف أنحاء
 الدولة

وإذا كان في التاريخ كثير من المتناقضات . فمن
 أكثر المتناقضات أن يتعاون بين . وهو مصدر الخصب وعنوان
 رخاء مع صحراء . وهي حذب نهر عن تحقيق نتيجة
 وحده . هي حتى هذه قوميات وأحدها
 ولقد ثمرت نوحده قومية مكررة في مصر ثمرتها العقيمة .
 فكست هذه الحصار عريه . نى لا يراى الناس مأجودى الماب
 تشكيها في كل حاسب من جوانب الحياة .

ووقوفها على حقائق في العلم والفن وأصول التشريع والحكم
 والفلسفة والعقائد . لم تصل حتى اليوم إلى بعضها ، ووصل إلى

البعض الآخر منها متأخرين عنها بقرون .
ولست الغاية من تقرير هذا الواقع . أن تصحح به ، وإنما
لنستمد منه إيماناً .

ذلك هو الاعتقاد بأن مصر . لم توضع في هذه الرقعة من العالم
ولم تتوافر في هذه الخصائص . إلا لتكون قاعدة حضارية وقد
كانت في ادعى هذه بقعة . فحققت لدس من أسس
العلم والحياة . وقد سبب لهم من وسائل التعمد على الطبيعة
والحفظ عليها والامتداد به . ثم تقدمهم في مستقبل أيامهم . على
أن يسيروا في طريق التقدم ونزق . وقد كررت مصر حضارات
للإنسانية . فهي لم تقف عند حد . امتداد هذه الحضارة
المرعوية القديمة التي عاشت أربعة أو خمسة آلاف سنة قبل
الميلاد . بل إنها استمرت تنبع أواناً جديدة من الحضارة .
وتتخصص . مدارس من فكر ورأي على تعاقب الحقبة وقد
فعلت ذلك في بعض الأحيان وليس في يدها زمام أمرها كله
ولكن روحها وعنتها كانا دائماً ، أقوى من الحاكم الذي يحكمها .
بجامعة إسكندرية التي ورثت جامعة عين شمس . كانت في
تاريخ العلم والحضارة . مارة من مدرات الفكر . أحرحت رواد
الإنسانية فحاء ينهل من مواردها العديدة . الشرق والغرب . فلما
ونلت الحضارة الإسلامية . كانت مربيها من الحضارات .

وتراثاً من فلسفات . فلم نجد وعاء بصمها جميعاً . وواء . تسير
في ظله إلا الأزهر .

فهل يستقي أسماء أوفياء هذا السجل الباهر . أم مسحور
حقيق لما آتونا وأحد دن . وبما يع عيون بالبرعمة الروحانية .
بما إذا أحسا نعم . كان الواجب أن نفهم مدى التبعات
التي سحلتها على عتوق حبيبا نقول : نعم ؟

بما لا يعنى ما يوء هذا التراث القديم . أن نحر به . وأن
نقول لناس في مناسبة وغير مناسبة . بما أحماد الدين صنعوا
هذه المحصلات فهذا النحر ليس سوى صيغة يعمل الشهود
لأنه يدل على حب لهذا الماضي وإعزازنا له وحرصنا على إبقاء
عبيه .

ولكن الأمر يقتضيه أكثر من نحر . .

يقتضيه أن نعرف هذا الماضي وأن ندرسه . ثم ندرس
الخاص على ضوءه . وأن نهتمه بعقولنا نحن . لا نقول الأحاديث
الدين لا يعرفون شيئاً عنا .

ولكن هذا لا يكفي أيضاً . فمطلوب أكثر من ذلك بكثير .
مطلوب أن نرى أنفسنا . لأن نستأنف السير في الطريق
الذي رسمه الماضي . وأن نعلي لباء فوق قاعدته . وأن نكملة .
مضيف إليه . ولا سبيل إلى شيء من هذا . إلا إذا كمل بقياس

نأن بلادنا في المكان الذي وضعت فيه . بين قارات الدنيا وشعوبها
 قد حصصت لنسب الحضارات لا لتستهلكها . ولتحقق لا لتعيش
 عائلة على الخائفين . والصورة الأولى هذا اليقين ، ألا نستسلم
 للحضارات الأخرى . ولما تشبعه من مدهاب . وما تروح له من
 مبادئ ، وما تدعو إليه من أساليب في لعيش . وطرائق تفكير .
 وليس معنى ذلك . أن نرفض ما يستحقه ويحققه الغير . رفض
 العناد والمكابر . والعناد والمكابر . من صفات الصغار غير
 النحريين . أو الجهل عبر العالمين وإنما أعني أن نفكر في كل
 ما يعرض علينا . وأن نأمنه تأمن الناحص الناقص . وأن نعرضه
 على ما عندنا . وما كان عندنا . وهذا الأسلوب الناقص الناحص
 ومع التردد . معلوم ما صيب . وترث أحداثنا . نستطيع أن نكون
 أمة موحدة . وحسبك أن تتحرك عجلة الاستكشاف في جهاز حياتنا
 الزاكنة . حتى تتوالى حركاتها . ويتتابع دوراتها هذا أيديها قد
 وصلت إلى المعين الذي كان بعيد العور . عميقاً لا يصل إليه .
 بل لا نشعر به .

هذا هو جوهر الرسالة التي لا بد أن تنوصي بالإيمان بها .
 وباندعوة إليها . ولا حداث في أن الإيمان بها . لا يعرف القلوب .
 إلا إذا صدر من قلوب تؤمن هي أولاً . فتأخذ شيء لا يعطيه
 وأول أساس نأن يؤمنوا . ملء قلوبهم . ليشتيعوا الإيمان في

قلوب غير . هم بكتاب وانكروا . هم القادرون على أن
يتروكوا من هذا لماضى الباهر ، ومن أنواره التي لم تخفت أبداً .
بل حجبها تحت كثيفة من الجهل . وشداد . والنظم وصعاب
والخوف والريبة .

ولا عذر لأحد من هؤلاء . بعد أن أشرق نور عهد جديد .
يريد أن يبنى مصر . على أسس جديدة . ويريد أن يفتح
أبواب الخلق والإبداع على لمصاريح لكل ذى موهبة أو كفاية .
وهو لن يكون عهد حرية حقيقياً . إلا إذا انهرت العقول . فرصته
محلفت وارتفعت عن مستوى الأرض التي شئت إليها أحسام
زمناً طويلاً .

• • •

وفي سبيل إثارة هذه الروح المتحررة . الضامعة في مزيد من
الحرية راعته في بحث مصر . وبعث أمجادها الروحية ، والشش
عن ذخائرها ادهمية والعقبة . كنت المصوب التالية . وقد
آثرت أن تكون على صورة حصان موجه إلى « أحيى المواضع »
وأن يستغل كل منها بفكرة . توحى - حنة من حقب تاريخنا
القومي الحديث أو شخصية من شخصيات هذا التاريخ ، وأقد
راقى أن يكون الحديث على هذه صورة . لأنه يشبه أن
يكون مساحة ، فإن الخطوة الأولى . في كل عمل كبير .

أن تتلاقى القلوب . وقبل ميلاد كل حركة . كان يتلاقى قلبان
ثم تجتمع على اجتماعهما قلوب . يترابدها . ويتسع نطاقها .
اتساع الدوائر في الماء . عند سقوط حجر فيه .

فلما استطاعت هذه الأحاديث الصغيرة الموجزة ، أن تثير
في نفس « أحيى المواطن » الرغبة أن يقرأ من جديد ، تاريخ
بلاده . وأن يتأمل صورته . وأن يتبين ما غمض من معانيه ،
فهذه الرسالة الصغيرة . تكون قد حققت الغرض المنشود منها ،
والأمل المعقود عليها . أما إذا اعتبرها قارئها ، رسالة في التاريخ
بحسب كانتها على قدر ما فيها من علم . فإن التوفيق يكون قد
أخطأها .

ولم لا أدعو الله بحق حتى لمصر ، وإعجائى عما صيها ،
وثقتى في حاصرهما . وأملى في مستقبلها . أن يكون السجاح حفظ
هذه السطور . وب يتلفها « أحيى المواطن » كما يتلقى رسالة
من صديق عزيز . يحبه . ويصبر له الخير ويعده .

فتحى رضوان

أنهى المواطن :

يظن به نحن الناس أن الأمم لا تثور . إلا حينما يهبط سوء
 أحوالها إلى أحط الدرجات . وقد أكد هذا الظن ، إننا نسمى
 عهد ما قبل الإسلام بعهد الجاهلية . وأن ما نقرؤه عن الفترة
 السابقة لثورة الفرسية . ولثورة الروسية . وثورات المصريين و
 أواخر القرن الثامن عشر ، وأوائل القرن التاسع عشر ، يرسم لنا
 صورة قاتمة ، شديدة السواد . صورة مظلمة ترى على رأس شعب
 فقير ، تسترع لقمة العيش من بين ضرسه ، لتعطي للعالم
 المتخيم ، يزيد بها تخمته . وتخلع عن جسمه الصنيل السقيم .
 الحرقرة التي تسر عورته . بأحداهما على قوى . لا الحاجة إليها .
 بل لأنه لا يطيق أن يرى أحسماً تعطي . أو عورات تسر
 وصورة حكومة فاسدة . لا تعرف من الحكم . لا أنه سبيل للكسب
 والثراء . ومطية للإدلال والإرهاق . وفوضى ضاربة أطرافها . لا
 تعرف معها حدود . ولا حقوق . ولا يستقر لها أمر أو حكم .
 وهذه الصورة صحيحة ، ولكن ناقصة : صحيحة . لأن أصل

يوثق الأهم الغضب . ولأن ثورت في أساسها من صلح الحكيم
وقضى الحكيم . ودفعه لأن لظلم وحده لا يدفع الناس إلى
الثورة فكثيراً ما يصوب عهد نصم يشعب . بتعاقب عليه طاعة
قساة . لا يرحمون . ولا يتحرجون . يقرهون الآثام جهرة .
ويجرحون الأخصاء . في سحناف وهرء . والشعب ساكت
صابر . ثم لا يلبث هذا الشعب المنسجم الخانع . أن تتولاه نوبة
من غضب الخنج . لا ينفذ في دفعها نار أو حديد . ولا وعد
أو وعيد . بل لدى يعبر شعوب من الخنوع إلى ثورة ؟

إن الله ذو لدى يعبر الشعوب فيخرج من صفوف أبنائها
نساءً . يجركون فيها عصا صر صوة . ويجمعون متفرق من عصها .
ويوحسون . تورع من أفرادها . ولا يراون بها . يرمون لها
طريق شعاع . ويحرضونها على سوك سبيل الكهاح . حتى تثوب
في نفس . وتؤن ضمها . ولا يص أن هؤلاء الهداة والمرشدين .
يسجحون من هؤلاء لأول . في سياسة ذيقة ط لهم الخدمة .
أو تحريك العزائم الخامدة ، بل لأنهم يلقون من الناس عروفاً
وصداً . لأن المنصومين ينفذون نفقهم أنفسهم . حتى لا كل
مجازفة ، ويشفقوا من كل محاولة . وينهضوا في الحركة السوار
والهلاك . وفي الجهاد . نوب محتوم . أو خسار المني . وهم
في خوفهم . يكرهون من يدعوهم إلى دفع الظلم . أكثر مما

يكرهون من يركبهم دأظم نفسه . ولكن هدة والمرشدين . لا
يخشون . وقد احتفظهم موت . بقيت تعذيبهم . مدوية في
قبوب الانلاميد . محركه هم لأشبح محروسة على فندان وهكدا
حتى يستيقظ في الأمة أمدها . وتسعين ضربتها وتتحرك فيها
عناصر قوتها . تنهياً لثورتها . فإذا بصرت إلى أمة من الأمم اجتماع
ها دعت الحصة . قبيل ثورتها . رعتك أن نرى مظاهر الانحلال
والضعف وآثار الخلم والذل . يجرورها آيات قوة وغموة . ودلائل
الغرة والنجاة . ترى الخلم . وقد صا ش صوته . بصرت بيمياً ويسراً
حتى تحسب أن الناس قد باتوا أعجز من أن يردوه ، وترى
الأحرار . يجهرون بالدعوة إلى مقاومة . حتى تحسب أن الظلم
قد أسلم آخر نفسه .

ولا أريدك أن تأخذ الثورة الفرنسية ولا ثورة الروسية . ولا
إحدى ثورات التاريخ لتقديم مثلاً . بل أريدك أن تأخذ ثورتنا
الحديثة المثل على ما أقول . فبحر كند نعلم أن ثورة الفرنسية .
بأسر بدورها الكتب والمكروب ولأسكنو يبدون . أشد رهسو
وهوائير وموتسبكيو وتديرو . وأن إلى حارب سنه ملكية وطعياها
كان مئات وألوف من الفرنسيين يتحدثون عن ثورة وينصرونها
لا يحفلون بالسجن ولا بدمية . كسك كحل في
مصر . فقد فتحت المعتقلات وصدرت التشريعات التي تجعل

من الملك والأسرة الدالكة قدساً من الأقداس . ومع ذلك فقد
كان حديث الثورة يذمر على الأسس . وكأن كل إنسان كان
يعلم أنها آتية لا ريب فيها . ولكنه لا يدري فقط موعدها .

فليس صحيحاً إذن أن الأمم قبل الثورات تنبع عاية اصعب
من الصحيح أنها تصع في هذه الآونة قدمها على أوب درج من
درجات شوه . فإذ جاءت ثورة . صعدت باقي الدرجات
تناعاً . وكأن الثورة قد تمحنت فيها روحاً من العرة . وفتحت
أمامها باباً مفضياً إلى المجد .

لنعد إلى مصر . لنقل إن أكثر الناس يتصورون أن مصر .
كانت قبيل مجيء الحملة الفرنسية في سنة ١٧٩٨ قد استحال
إلى بلد قفر . هلك فيه الخرب ونسل . ونظمات نور مدارسه
ومعاهده . وأغفلت أبواب معمره ومصرعه . وهذا حق . ولكنه
أيضاً حق ناقص . فمديك . نشو الرزاعه واصصاعة . ونشروا
الجهل والخرافات . ولكنهم أهكوا أنفسهم قبل ذلك في صراعهم
الصيفاني الذي كانت الحرب فيه لعنتهم الخسة . فستيقظ
الفلاح . لأنه أحس أن سيادة هؤلاء الحكام رثمة . لأنها لا
تمش نللا . ولا شرفاً . فترك الأمر سينول إليه . إن أحلا
أو عاجلاً . وأن هذا البلد بلده . فلما جاء ديدون إلى مصر .
بأسلحته الحديدية . فر المماليك من وجهه . وتركوا الفلاح

وحده . فاعتبط لأن التعب سقط على كتفيه دون غيره . وأن الأيام أثبتت أنه أشرف من هؤلاء المدين كانوا يسومونه الحسف ويسومونه القوت ويدون عليه بأن صاعتهم الحرب . وصناعته هو ابرى والحرب فارتفع تملاح إلى المستوى العلى الذى وصلت إليه الحوادث .

ومن بقرأ أحدث ثورة أكتوبر سنة ١٧٩٨ التى نصمها شعب مصرى ضد الحملة الفرنسية وكيف أدرها رعاء ذلك الشعب الذين لم تكن لهم سابقة فى الجهاد ، ولا درية بتنظيم الثورت . يستقر فى بقبه أن ذلك لم يكن أبداً ثمرة تصور مصحى . وأن الحوادث لكثيرة التى سفتته هى التى أدت إلى شقى هذه الروح لاستعلاية . التى حورن بوب أن بدورها ، فلم يسبح . فحورن أن يوحها هم يسبح . فخص بده من هذه سخوة خاسرة على وجهه . وفر إلى بلاده . ناركأ كبير . لينقى فى مصر مصيره على يد سليمان الحسى . وميدو . ليسع فى مافقة المصريين إلى حد ادعاء لإسلامه . وتروح من مصرية مسلمة .

ونقد واصلت هذه الروح عموها . حتى وضعت محمد على . على رأس مصر . كزعيم مختار ثم كانت هذه الهضة التى لا يجب أن يحجل من تلاوة صائمها هضة الصناعة والزراعة .

ووثبة بلخيش . وانصلافة في الشمال والجنوب ، مطمراً مستصراً .
 إذ لم يكن في وسع محمد علي . أن يصنع ما صنع ، ولم يكن
 حرقه الأحباب ليس أرادوا أن يتخذوا من محمد علي أداة
 لصرب لعلم لإسلامي بعصه ببعض قادرين على أن يصنعوا هذه
 الفتوح ، وإي الذي صنع هذا كله لشعب الذي كان يثور
 على المماليك إبراهيم ومراد . والذي ثار على الفرنسيين في المرة
 بعد المرة . وقد كانت مصر ، قد امتلأت . ونسعت صفتها ،
 وأصبح من المحتوم ، أن تؤدي دورها .

أنهى المواطن :

إذا أردت أن تجعل من ابلك عاملاً صغيراً . فأنت تلحقه
بأحد « الأسطوانات » ليدربه في بضعة أيام أو بضعة أسابيع على
العمل . أما إذا أردت أن تجعل منه « أسطناً » فأنت تبعث به إلى
مدرسة صناعية ابتدائية يدرس فيها ليضع سنوات لا تزيد على
أربعة . أما إذا أردت أن تروده بثقافة صناعية فلا بد أن يتلقى
العلم والتدريب في مدرسة متوسطة لسنوات أربع . بعد أن يدرس
دراسة ابتدائية . لسنوات أربع أخرى . أما إذا أردت أن تحقق
منه مهندساً فلا بد من درسه صوبله . ببلغ مائة وأربعة عشر
عاماً على الأقل . ثم إذا تمكنت أن يكون من « أصلايك » عام في
الهندسة . فالدراسة تطول . بطول العمر

وقد يتبادر إلى ذهنك أنني سأحدثك حديثاً في الصناعة
والتي أردت هذه المقدمة الطويلة . أن أشرح لك أنه على
قدر حظوظ الدور الذي يلعبه الإنسان في الحياة . يطول أو يقصر
إعداده وتدريبه وتعليمه وتلقينه .

فالدور لصغير لا يتقاصى من الإنسان إلا جهداً صغيراً ،
وعمل الكبير يتقاصى منه جهداً كبيراً . والأم كالأفرد ،
لا تستطيع أن تلعب دوراً هاماً ، بين الأمم والشعوب . إلا إذا
صالح عددها ، فرت عليها نجارب وتعاقبت محن : إلا إذا
حاولت وأخفقت ، وحاولت ونجحت . ثم نقص النجاح من
بين يديها . وأفلتت كما يتسرب الماء من أصابع الكف المقبوضة .
ومصر . بلادنا العزيزة . أعرب لأهم . لأب تقفر من
الحصبص إلى القمة ، وتسحلر من القمة إلى الحصبص ، فلا
تدرج . فتدريغها متحدر ومأس . وكأن هذا لتدريج لا يعرف
إلا اعدو واقفز ، أو الهزل والكسل .

ذلك لأن مصر . كحساء . إما أن تكون عقيمة مصوبة
لعرص . قوية . إما وحاهها وأهلها . فترد عنها طمع الصامعين
وإما أن تكون ضعيفة فقيرة . فتصبح مهاباً مستباحاً لكل دى
شهوة .

ولذلك لا بد لكى تستغل من الحصبص لدى وصلها إليه
أسلوب حكم العثمانيين لدى بدأ سنة ١٥١٧ . وأسبب حكم
المماليك في القرن الثامن عشر أن يصوب عدادها وتدريجها . وأن
يستيقظ شعبها على دوى هائل من الأحداث ، وأن يحجز
ساعديه في لصرب . وسقيه في الركل . وأصلافه في نوحز .

حتى يتوفر له سيف يقصع . ورمح يطعن
ولقد بدأت هذه التحارب في الحصة الفرنسية . التي جاءت
إلى مصر . وعلى رأسها نابليون بونابرت . لقائد الشاب الذي كان
يمثل عصرين في وقت واحد . كان يمثل لثورة الفرنسية ذات
اشعار امثلث . وكان يمثل -ها- لثورة الفرنسية . وسدية عهد
من الحكم الثنى . نهبه أحلام الحرية . وبقيمه ويكبله طموح
إلى المجد الإمبراطورى .

انظر فقط إلى لمشور اسدى وجهه نابليون أو بونابرت (كما
كان يسميه الشيخ عبد الرحمن الحبرى رحمه الله) .

« من مدة عصور طويلة هذه امرأة امريكى محبوبين من
بلاد الأماة والبحر كسة ينسدون في الإقليم الحسن لأحسن الذى
لا يوجد في كرة لأرض كلها فأما رب العالمين لحدس على كل
شئ . فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم » .

ثم يقول بونابرت . قروا لى نيت إن جميع الناس متساوون
عند الله وأن شئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والخصائل
والعلوم فقط وبين مساكن والعقل والخصائل تصرف قادا
يميزهم عن غيرهم حتى يستوحوا أن يتسلطوا مصر وحدهم .
فإن كانت الأرض المصرية التراما للمماليك فيرون الحجة لى
كتيبها الله لهم .

فالقاصب المعتدى ، يشعر أنه لا بد من أن يعنى هو دعوة
المعتدى عليهم . فهو يخشعهم أن بلادهم أحسن بلاد العالم . وأنه
لا نصير لها ولا ند . وهو يقول لأهل الوطن المعتدين . يا أرض
هذا الوطن ملكهم وليس ثمة شئ أحسن من كلام وأبقى منه ،
لقد دالت دول ، وتلت عروش . وتقوصت صروح ، واختفت
قلاع وحصون . وبقي شعر الشعراء . وحكم الحكماء . وحطب
الخطباء . وبقي نقرآن الكريم . وبقيت الأماجيل والمرمير ،
نظالها الشربة وتترود منها . وتناثر بها . ولذلك لم يكن معقولا ،
أن تذهب كلمات بوابرته . هذا المنح العدى ، امدى ردى
أن حيوشه وحمايله وحموده وسوده . لا تحديه فى تحقيق عرص
امدى قصده إليه . واضطر اضطرراً أن يقول للشعب المصرى .
إنه صاحب الأرض فى عيم عليها ، وإب بلاده خير بلاد الدنيا
قاطبة . ولقد كان هذا الكلام ، كسره فى لأرض الحصنة ،
ذلك لأن المصريين فهموه على معناه الصحيح . فتصور أن
ينودو عن حوصه وفى هذا يقول عبد الرحمن الجحرى

« نادوا بالشير لعام وحروح ساس للمعريس وكرروا
المدواة بذلك كل يوم فأعلق اسس الكاكين ولأسواق وحرح
الجميع لير يولاف فكنت كل صائفة من طوائف أهل مصاءت
يجمعون السراهم من بعضهم ويصبون لهم خيماً ، أو يجلسون فى

مكار حرب أو مسحد ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون
له من الدراهم التي جمعوها .

إن جميع الناس بدلوا وسعهم وفعلوا ما في قوتهم وطاعتهم «
إلى أن قال :

« وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشع في ذلك وقت
أحد بشيء يمكنه . نهبا لشعب دون للنصار . ولا قيادة ،
ولا سلاح . لأنهم كانوا يجمعونه . على قننه . »
ويقول بحرقي أيضاً في هذا المقصد

« وعلا سمراسارود ورضاص بحيث بيع برطل اسارود بستين
دصفاً والرضاص تسعين وعلا حسن نوع السلاح وقل وجوده
وخرج معظم الرعايا السبيت والعصى والسوق »
قبل الشعب ذلك فمادا فعل القادة والأعيان . مدد فعل
الأمراء والمساكين . يقول الحرقى « وخرج أعين الناس وقصبة
الوحدات وأكدرهم وبعض المشايخ لثة درين . فلما عاين العامة
والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم » .

سأت هذه تحربة من تحرب الشعب . أهله دال الدور
الذي لا بد أن تلعه مصر . في العالم . والذي لم تكن لترتفع
فيه . وتصيح به . إلا في وقت طويل . لأنه لا تصح لأن
تكون بين الأمم صبي صانع . ولا أسطى في ورشة . بل لا بد

أن تكون أستاذاً كبيراً موحهاً . أو لا تكون شيئاً مطلقاً .

وقد اعتبرت هذه الشجرة عثرتها . بعد هذا لكبح الدشل
في يدية الحمنة تربية . فإن رعماء الشعب الذين ملأوا الفراغ
الذي كان الصليبيك يشعونه . ابتدأوا يحصلون بتبعاتهم . ويدركون
واجباتهم . ويروي الجبرقي

« طيب صاري عسكري بوديرته لمشايخ فلما استقروا عنده
بعض بوديرته من خمس ورجع وببده طيبات ملونة ثلاثة
ألوان كل صيصال ثلاثة عروص أبيض وأحمر وكحلي فوضع
فيها واحداً على كتف الشيخ شرقوي فرمى به إلى الأرض
وامتنعص وتغير مراحه وامتقع لونه واحتد صغره فقد الترحم
بأ مشيخ أنتم صرتم أحداً لصري عسكري أي (نقاد العلم)
وهو بقصد تعصبيكم ونشريككم بربه وعلامته فإن تغيرتم بذلك
عصبتكم العساكر والناس وصار لكم مرة في قلوبهم فقالوا له
لكن قسروا يصيب عند الله . وعند إخواننا »

ولقد ثلث الفتح . كان يود أن يستأرج رعماء الشعب ،
إلى ما يريد . بملاطمة . وانتودد . ورعماء لشعب كانوا
يقسرون المحاملة ولكن لم يكونوا مستعدين أن يذهبوا إلى أبعد من
ذلك . ولو أدى الأمر إلى محبة حاكم أدي . وإعصبيه .
وكان ذلك أول السطر في الصفحة الأولى من تاريخ مصر الحديثة .

أحى :

كانت لرعاة الشعبية في أوائل القرن التاسع عشر . رعاة
 وليدة وكانت تجرهم صغيرة . ولكنها كانت موحودة . على أية
 حال وقد دفعت ثمن الرعاة الحقيقية . وارتفعت إلى مستواها
 الجدير بها . وقد كانت حدثها . وقفة تحررها سبياً في أن
 محمد علي . سهل عليه حداثها أو الأمر . ثم التحلف بها
 شيئاً آخر لأمر . ولكن لم يكن ذلك شعوراً كنه . هو محمد
 علي لدى صبي الرعاة الشعبية وقضى عليها . صبي في الوقت
 نفسه . للماليك . فلم تعد هناك بلا قوت . قوة لحكم الأحسى
 ممثلة فيه . وفي عائلته من بعده . وقوة الشعب . وكان الشعب
 يقاوم حيناً ويستسلم حيناً . ولكنه بقي موحوداً يعلن عن نفسه
 ويحمل الحاكم على أن يعترف به . وقد أراد محمد علي أن يشي
 جيشاً من أولاد الماليك وأن يستعني بهم عن أولاد مصر فلم
 يفلح . وأصبح الجيش مصرياً . وأصبحت البحرية مصرية .
 وإلا بقيت قيادتها أجنبية . ولم يقصص على ودة محمد علي أكثر
 من عشر سنوات . حتى أحسن الدين جاء وأنه لم يد من أن
 يفتح الطريق . في الجيش . لأبناء الشعب . وارتقى في درجات
 هذا الطريق . عدد من أبناء الملاحين . كان منهم أحمد عرابي

أخي الموصن .

سأحدث . عن أحمد عري . ولكني أرحوك لا تتوقع مني
أن أحيى من حوب بشورة عربية . أو أن أتحري معك موعتها
ودوعها . عهد كلاء سمعته مرر . وقرنه كثيراً . وهو في
مته وث . كما شئت منه مريد . إنما نحوب أن أقصى لك
خوطر مباشرة . نوحى من هذه الشورة . وهي حوصر ترر النوحى
الروحية . بشورة عربية . ونؤكد منه من الشورة بشورة آتينا في
عهد امنايك وقيل نوحى محمد على شئت .

قلت لك إن محمد على نحوب أن ينشئ جيشاً من أبناء
امنايك . وأصده لأرداء بدسين جاءوا معه . وقتت لك في
هذه المحاولة لم تفلح . فقد كان لمنايك ، لا قوم حرب و قتال .
وكان اصداً ثميلاً عن أنفسهم . وصصر محمد على ضطراً أن
ينشئ جيشاً من أبناء الملاحين فعل ذلك وهو كاره . كره أن
يكون بجيش من أبناء مصر . لأنه لم يكن يتصور أنهم يبقون
بهذا الشرف . أو أنهم يبقون على احتمال تبعائه ومتاعمه . ولأنه

لم يكن يود أن يشيء من مصر دولة لأبنائها بل كان أقصى ما
 ينسده أن يشيء في مصر دولة له ولأبنائه وهكذا أصبح في
 مصر . جيش مصري . فكتب لثمة صفحة تراجمت فيها
 امفاحر أكثر مما تراجمت في صفحة أي جيش آخر . ولقد
 حارب المصريون في كل حروب كل طرف . حاربوا في
 الصحاري . وفي الخليل . وعلى صناف لأهر . وعلى شوصي
 البحار . وفي سفوح الجبل فوق قممها حاربوا في عالم القديم
 والحديث في أوروبا وآسيا . وفي إفريقيا وأمريكا : حاربوا عند خط
 الاستواء . وفي الحبشة وفي المكسيك حيث تنصى حررة
 وحاربوا في صحراء سود . وفي صحراء صحراء ويحد . كما قتلوا
 في القمر . وفي تريب . حيث تتحصد لأطراف وداكل المرء
 لحم البشر . وقابلوا تحت أسوار عكا . وفي مياه سفارين
 دايونان .

والكنم يكن دور الفلاح . من مصر . في هذا الجيش
 ليريد عن دور الحمدي . فقد حارب محمد علي أن يصل
 المصري إلى مركز القيادة . وأيديها . لأنه هو قنبر من
 تلك الملكة . فقد كملت شخصيته واستيقضت في نفسه .
 رواسب القيادة وأربعة نبي ورثها عن أحده وأحد الإنسانية
 وانتمص عملاقاً لا ترد له كلمة . وأحسته صوف نجد .

بها ذنبا الكبرى وشرق الجيش مصرى . وغرب . وعري وفتح .
 وأعان حيث تعر المعونة . وأبلى حيث فر لمقاتلون المحترقون .
 ولكن التاريخ لم يجد على الفلاح الذى تكون منه هذا الجيش .
 وتعدى منه حمده ودمه . بحرف واحد . وإلى لا سائل المؤرخين
 المحققين . مصنفهم وظالمهم أن يدكروا لنا اسم مصرى واحد فى
 هذه المعركة الكبرى التى حاصرها المصريون وحدهم

وقد بقى الحال على هذا المذاب . فى عهد إبراهيم وعباس . ثم
 فى عهد سعيد . الذى لقي من أسرته عساً . وكانت تركيا . تصبى
 عليه الحماق . فلم يجد من يحميه . إلا هذا الفلاح المصرى
 المجهول المسمى عليه . وإلصاف بقتضيبى أن أعس أن سعيد .
 فعل للفلاح المصرى أكثر مما فعل كل ولاية مصر . بل أكثر مما
 فعل فيما بعد بعض رؤساء حكوماتها من الملاحين . لقد فتح باب
 الترقى لأبناء الملاحين فى الجيش . وسوى فى الخدمة العسكرية بين
 أبناء الفقراء وبين أبناء الأئمة والمشيخات الذين كانوا يبدلون على
 أساس أنهم أكثر من أن يؤدوا فرصة الخدمة العسكرية أو قل
 أصغر من أن يبدلوا شرفها

ولقد تحقق كل ما تخننه . وتوجس منه محمد على . فما كاد
 باب الترقى للملاحين يفتح . حتى دخل منه إلى المجد . أحمد
 عرابى . ومعه جماعة من أبناء الملاحين أمثال . عبد العدل حلمى

وعلى فهمي . وأروني . ومحمود فهمي

فوصول أحمد عرابي إلى رتبة المتقدم في الجيش . كان في
الوقع وصولاً للشعب المصري إلى هذه الرتبة . فقد كان شعب
المصري كله . في محال الحوادث الدولية . وفي محال السياسة
الدولية . (نفرا) يتحرك ولا يتحرك . يسمع ويرى . ويحس
ويشأم . ولكن لا يسكن . ولكنه مع مر الأيام أحد يفرص نفسه
على الحوادث . وعلى ساس . وعلى الحكم . وارتقى حتى كان
في رتبة الناشئ ويش في عهد سعيد . ومن ثم بدأ يصعد سلم
الترقى في كادر الضباط

وصل عرابي إلى رتبة المتقدم . وكان لشعب مصري كله
قد وصل إلى هذه الرتبة . فقد أخذ لاستعمار والضمونية العالمية
تصنع الحديو إسماعيل . صنعت . لا أدباً له . فقد كان
الحديو إسماعيل . أحسن ما حاد به زمن . على هذه العنصره
المتأخرة . على مصر وعلى عرب وعلى المسلمين وكان لا بد
لإسماعيل من سيد . فكان السيد هو الشعب

عرابي في الجيش كان في الواقع رمزاً للسلاح في الدعوة وسوء
أكون عرابي قد اتجه إلى ترعيم ثورة وقيدته . ثم لم يتجه .
فقد كان وإخوانه . عنون طبقه من صيقات لأمة المصرية . وقد
كان من المحتم أن يحس عرابي وإخوانه . أنهم عرباء في الجيش

وأنتهم وصلوا إلى هذه المكنة على الرغم من ردة أصحاب الأمر
ولهمي ولد تولت الإهانت عليهم تحرك فيهم شعور بحق الجماعة
التي يمثلونها . وفي هذا يقول أحد الكتّاب الإنجليز الذين شهدوا
حوادث الثورة العراقية من مقدماتها :

« وكان ممن ترعّموا التدهر ضد حركة التمريق النضوي . في
الحيش أحمد بك عري . الذي كان قد بلغ مرتبة المتفهم ،
وهي مرتبة لم يكن من مأوف أن يتولاها فلاح مما أكسبه نفوذاً
ونائراً عبر عاديي على موظفيه من الناصفين بالعربية . وكان
الدفاع عن حقوق الفلاح هو لبيرة التي تمرد بها عراقي بين دعاة
الإصلاح في أيامه . إذ كانت حركة الأحرار حركة عالمية دون
تمييز بين العاصر أما حركة عري فكانت حركة عصره
من أصبها . ومن ثم فهي أكثر اصعباً للصعوبة الثورية »
« ووقع أن عري كان يمثل لدلاج مصري أتم تمثيل وكان
هذا نوع من الرحيل موضع إحصاء نام لدى المشوات من
أتراك وشر كسة »

« بد صوا أجيلاً يسترفونه . وبسحرونه . فلم يكونوا يظرون
إليه كأكثر من أداة يستعملونها لمصلحتهم وكان ريبص
(بقصد ريبص دشا رئيس لوزراء في ذلك العهد) من سدية
حتى نهاية برودي عراقي . بل إن دعاة الإصلاح في الأحرار م

يكونوا يقبمون له كبير ورب كثوة سبسية مما ثباء طففته من
 انلاحيين ، فقد رؤ فيه وحداً بهم تصحمت فيه صنتهم وحدير
 بنا أن تذكر أن الشارح مصرى صل رده ثلاثمة ستة على الأقل
 لم يشهد فلاحاً قحاً يرقى إلى مركز دنى أهمية سبسية تذكر . أو
 يناق كصصح . أو يحسر على أن يهس نأية دعة عن احتباب
 اقميم ثورة . « فالثورة العربية ليست ثورة دستورية كما كنا
 نحول أحياناً ن سسم أو ثورة صدد يفضون إيصهم في
 الترفيات والعلوات في درجة الأعداء نى نوكل إيهم . وليست
 هى حركة تحرير وصى . ولكن شىء أعظم من ذلك . هى
 حركة أهل بوض لأصلاء . هى حركة مصرى الذى عاشر
 حبه نه أشبه شىء بـ خيون . وأحياناً أقل درجة منه هى حركة
 الفلاح الذى كان أقرب ما يكون إلى عثرث والـ فيه والشادوف
 وسورج يعمل كثيراً أو قليلاً . يعمل نأية . أو فى حو مؤه
 الحوف والحدبة والرعة فى بـ نقه . ولكنه على به حاب لا يعبر
 عن نفسه . ولدت كان فيه شكوى . سوء كان هذا ليس عدا
 أو موسيقى . أو أدباً . يجرى على لألس كشعر ومون أو رجل
 وقد كان الحكام الذين وضعوا الفلاح فى هذا الموضع .
 غاية فى لكاء وآية فى بعد مصر . لأنه على هون مضهره . وسوء
 شكله . وضعف صحته وقلة حيلته . محرب هائل من بامشعرات

ولدمرت حسه عود ثياب واحد . لينحجر . وهو حين ينحجر
 يصل إلى بحر شوص في محصنة . ولا أعني هنا ، لانحجار .
 الثورة وإنما العمل . سوء أكل عملاً حريّة أم سلب .
 والمصري الذي كان يشر من جيش هو امصري الذي هزم جيش
 تركيا . قوى جيش في أوروبا . في ذلك الحين . والمصري الذي
 لا يحقق في سير مركب في بحر لبضعة ساعات ، هو المصري
 الذي صنع أسطولاً . جعل لإبحار والتجسس . اجتماع عليه
 بأساطيلهم . في دمري . لأن أسطولاً واحداً لا يكفي لمثلته .
 وإذا أردت دليلاً على أن المصري يش من الحصص إلى
 نومه دفعة واحدة بضر مد فعلت فيه حرب خيشة على أعلاها
 الخديو . على في حريات أيام حكمه . فقد احتل المصري
 الكثير . حمل اسخرة واحمل لضم الإلزم الذي كان
 يسرق من سلاح مشيته ورقة ومخضيه ولكنه حينها فكت
 قيوده . لم يعد يصيق عشر معشر ما كان يأتمه . ويقوم بلبس
 في ١٨٨٥ .

« وكان تدخل جيش في شتاء ١٨٨٠ - ٨١ كقوة سيدييه
 في مصر . من أهم الأمور ويرجع ظهور الجيش كعامل من
 عوامل التدمير . إلى الحملة المصرية على الخيشة . إذ أهدمت
 مكنة الخديو . . . كما أن المتاعب المالية أدت إلى تحصيل

مرتبات الجنود وعدم انتظام دفعهم ولم يعد الجنود الذين قدر
 هم أن يعودوا من الحملة . يخبرون قدامتهم بعد أن ظهر عدم
 جدارتهم . . كما قرب السمر من زيادة بين حدود وبين صياص
 لصف لا سيما وقد كانت المصيبة أربعة وقدماً على الشراكسة
 الذين لا يجيدون غير لغة تركية . في حين أن مرمر الجنود
 وصغار الضباط كانت مخصصة لأبناء ملاحين ممن لا يتكلمون
 سوى العربية . ورد من الشعور بتوافر أن تاجر المراتب
 كان مقصوداً على هؤلاء لأحريين دون الشراكسة .

هو عجباً . . . المصريون لا يصبتون تاجر صرف مرتبهم .
 وقد حصلوا في مصر أكثر من ذلك ضعفاً مصدرة من
 إدارتي صطام بوزير الحربية أرب ما يصطده . لأن (عربياً)
 رفض أن يعمل جنود لوائه في حفر نزعه سوفييه .

ألم أقل ، إن حركة عراقى . كانت حركة الجيش المصرى
 وأنها لم تكن ثورة ولم تكن انقلاباً . وم تكن هبة . . إنما كانت
 حركة من حركات الطبيعة كالشمس في ترحب السماء . .
 حركة رتفاع بطيئة . ولكنها مستمرة . حثيئة . ولكنها فعالة
 ومؤثرة .

أخي المواطن .

م تكن مصداقة محضه . تتوى مقدمات لا حلال ليربضى
وعلى مسرح الحيمه اعاليه . حتما رئيس وزراء هربس ،
ودررئيس رئيس وررء . يحلوا . وروتشيلد صاحب الملايين لى
نكسه نفوداً لا حد له . على النور وررؤسه النور . فحاشنا
ودررئيس وروتشيلد صهيونيون معنى سابق الكسة صهيونى .
فيسوا هم محرد يسرائيليين . يسيوب ديس يهودى بل هم
يسريديون . يتوهون إلى ن يعبدوا ساء هيكن سيمان . واث
يستعملوا مجد لإسرائيل . على حسب سلاء أسس ومهم وهم
على عادة الصهيونيين . يحضرون لئلا تخلص أكتر صده
الأماة ونصر . ونرى نص نرضص . حتى إا لاحت نقصوا عليها
انقصص الناشق . من عل . فبشك فيها أضره فلا يبعها .
حتى يأنهمها

فادررئيس حينما صصر الحديدى إسد عيل . سقنه وسوء سياسته
الذايه . إلى بيع ١٧٦.٦٠٢ من أسهم قدة لسويس اتى كانت

تدكها مصر . أسرع إلى تدبير ذلك . لإتمام هذه الصفقة .
ولم يجد من يدر في هذه المسألة مصوب لا روتشيد . ولت
لا شك نجس حينها تقر قصة شراء هذه الأسهم الحقة في ملك
مصر حتى سنة ١٨٧٥ . لم تكن . لا مؤامرة يدبرها دررثيل
مع روتشيد ، وهدفها أن يجلب مصر فقد تم شراء الصفقة
ودفع الثمن إلى الخديوي إسماعيل . في عينة العرب الرخصى .
وبغير علمه ، أو موافقته وقد أحيطت صفقة في كل مرحلتها
بكتب وأسرية . لأنها لم تكن صفقة مالية . بقدر ما كانت
مؤامرة سياسية

وعلى الرغم من أن حديث يدور حول ثورة لغربية . إلا أن
لاستطيع أن نمر على صفقة شراء منهم الحكومة المصرية في قبة
السويس . مرور لغرب . لأن مصر في هذه الصفقة يؤكد ملك
أن الاحتلال ليرضى . كان عملاً صهيونياً صرفاً . تعهدت
فيه الصهيونية مع الاستعمار . بكتب الصهيونية ولاستعمار
شئين متضادين

واليك إجمال القصة . . علم مالى فرنسى سمع إدوار درفيو .
أن الخديوي إسماعيل في ركة مالى شديد . فقرر أن ينجح في
الإسكندرية بدعى أسرية اعرض على الخديوي إسماعيل أن يبيع
أسهم مصر في شركة مدخل ٩٢ مليوناً من الشركات . ولكن

ضخامة هذا المبلغ كانت تقتضي تعاون عدد من المائين
الفرنسيين مكسار أجمعوه . زدكاً ما يون الفرنسيون . وتكأت
السياسة الفرنسية كعادتها بصفة عامة وفي المسائل المصرية بصفة
خاصة . وفي هذه الأثناء بيع لنا هذه الضيقة إلى الإنجليز .
فكلف دررثيلي البحري ستة ثوب فحصل بربطها في دنش الحين .
بأن يعرض على الخديو بيع الضيقة . ووهي الخديو في ٢٣
نوفمبر سنة ١٨٧٥ على أن يبيعها بمائة مدين فرنك فرنسي أي بما
يسوى أربعة ملايين جنيه استرايلى . وشرق فحصل بربطها - ١٤٠
في دررثيلي رئيس الحكومة

كان فرنسا في إحرة . وكان اليوم الثانى يوم أحد . والسوك
معطلة . وكان لا بد لإبره بصفة من صدور قلوب . وفي
بريطانيا تقوم التتديد عموماً . والتقاليد الدستورية خصوصاً
كالخرب المسونة لا يتحصده ونحدهلها إلا كل مجرف بلا أن
المسيحية هي مقاومة أو معامرة لا تحس بالقيود التي يحفل بها
المسلمين يسيرون على سن من لأحلاق والقواعد المرعية . ومن هنا
سأب دررثيلي من عشيرته روتشيد أن يقرض بريطانيا أربعة
ملايين من جنيهات على أن ينقص سمسة قدرها ٢٪ من قيمة
الضيقة ولم يتردد روتشيد . في أن يدفع المبلغ مع ما في دفعه من
غير موقعه الثمن على الضيقة من محاطر وعم الناس من ذلك

أمر تلك الصحيفة مدعرت سياسة عربية وأعلم كنه لأمر . فهمت أن الأمر في هذه الصحيفة يتحدو لـ . إلى احتلال مصر كلها بعد سبع سنوات من تلك صحيفة . وهذا ما قلناه مجلة اعلاميين فرنسية بعد شهر من عقد الصحيفة . فقد جاء في عدد أوب ديسمبر سنة ١٨٧٥ . في مقال ترجمه السيد الأستاذ عبد الرحمن الراجحي كما يلي :

« إن هذا عمل سياسي محض . وهذا وجه الخصر . فإذا لم يكن في دنة احتلال مصر فيه لحصوه لأوب فـ . لا احتلال . »
 هذا ما فعله ريتشيد في لحصوه لأوب من حصوت لا احتلال
 فمصر ما فعله في شأن حصوة أخرى من حصوت الاحتلال .
 تلك هي السدرة نخب إستم غيل حينما تبيست القسوييه أن الأمر لن يخرج عن أحد أمرين . إما أن يكون لشعب جمع إستم غيل بنفسه ، وهو احتمال على ضعفه في ذلك الحين . كما يظهر له صواب الاستعانة بـ . لأنه يريد دفعه لشعب المصري والطلاقه من قيوده ، وإما أن يختمى الخديو بأشعب . وبترصاه . وهذا ما كادت يودره وتماشيره قد لاحظ في الحو .
 فقد كنت إستم غيل . شريفاً . « بوضع دستور » وأعس أنه سيحكم من خلال مجلس نوري . في سنة بسيطة . وتركهم الذين الأفعى مدر بدور ثوراه سكرية التي كادت تهر

الاستعمار من جلوره .

وكانت نتيجة فيما لو ظفر شعب المصري بحقوقه الدستورية .
سوف رأى الاستعمار ونصبيوية مما لو جمع الشعب . الحبرو ،
ولذلك كان لا بد من عمل سريع . تنحى معه لأحداث إلى
وجهة جديدة . فيقول دستعمار جمع الحبرو ، ثم يستبد من
اصطرب لأمر الذي بين ذلك جمع .

ولعل لا نجد صورة من صور تحالف الاستعمار بربطى
مع الصهيونية لعلمية ، أكثر وضوحاً مما نراه في حوادث الاحتلال
البريطاني لمصر ومقدماته . فقد كان في مصر . مراقب ما
يربطى هو السير وينتشر ولن الذي أصبح فيما بعد وزير مالية
وقد اعتدى عليه الضباط المصريون الثيرون ثم صرد بمقتضى هذه
الثورة من الثورة . وخرج من مصر معصاً محققاً . ونظر ماذا
يقول بلنت في شأنه .

« ولكن الذي لم يدع هو ذلك » صور الذي لعله آت
« روتشيد » و« بي » علمته فيما بعد من « وينسون » وكان محوراً
بأنه انتقم لنفسه . - فبعد عودته من مصر محاولاً يتم شطر آل
« روتشيد » في باريس . وبين فم لخصر الذي يتهدد موطنهم من
وراء لانهلاب الذي لا بد أن ينزب على قلاقل القاهرة
ولإسكندرية . وأفعهم بأن حديو كان يعترم أن ينقص يديه

من ديونه ويلقى انعامه بها . متحداً لنفسه سداً بإعلان حكومة
الاستورية في مصر . ومن ثم فإنهم لا ياء حاسرون كل ما هم .
ما لم يبادروا في حيوة بين الحليو وبين تنفيذ دت »

« ونحن وبس في إثره دعو آ روتشيد . وحملهم على
استخدام ما كان هم من نفوذ سياسي هائل لتحقيق التدخل
للعلى . فعند أولي حدث الخيوط التي كنو بتركون في
حكومتى بحائر وفرس . ولكن هذا لم خد هم فيلا . بدم نكر
الحكومة لإحليوة على استعداد التدخل . لا سيما وأن
الاصطرات كك قد شب في جنوب أفريقيا . . ومن ثم
أجده آ روتشيد إلى برلين . وفي سمارك بالندب . اندى كك
يسط حمايه على مؤسسة يهودية لصحة . ودور سمارك في
إيجاد في حكومتى بحائر وفرس بأن الحكومة لأديب مسحتص
قصية آ روتشيد إذا كك عجزين عن التدخل . وك
هذا لصعظ كفاً موحية صعه . ورفي في الدب لعلى . ندى
في برفية نتي تنفاه بماعيل جمعه . وك من نصيب لاسيل
أن يحمل إليه النبأ . »

وإذ ردت أن ترى صورة أخرى من صور تدعو لاستعمار
مع الصهيونية في تدبير الاحتلال . يرضى أقر ما يقوه بلس عن
موقف جامبنا . من المدكرة التي أعدتها حكومتا برصيا وفرس

وأرسلت إلى الحكومة المصرية . بعد أن نجحت الثورة العراقية ،
 واجتمع برلمان مصري . وشر سلطته ، على أحسن ما يرام
 من توفيق ولاغتداد . وكان ذلك النجاح قدي في عين
 الاستعداد . وفي عين حامد رئيس وزراء فرنسا . وهو صهيوني
 ثبت كما مر بنا فك لا بد من مصاهرة ريقه بيه فرسيه لنهيد
 حكومة مصر دستورية حتى تستد إلى تزييد من شعب . وإلى
 سند من الجيش ، ويقول « بلنت » :

« فإني أعزو تونس جعل شهاب فريقي بأسره يشتعل ثورة .
 فعاء « حمتا » وهو عذر على أن يستخدم شد الإجراءت .
 لأنه كان يحشى أن تقوى ثورة إسلامية عامة . بعدت رأى في
 الحركة الثورية المصرية مصهراً حديداً بتعصب الإسلامي
 كما أنه - لأخصه يهودي . كان على علاقة بالمصلح المالية
 عليه سمعته بمصر فعوب حتى أن يسعى لفرص تدخل لأحيى
 على مصر . ومن ثم كان راعياً في أن تشترك معه حكومتها في
 حركة صليبية ضد الإسلام - اسم مادية - تكون أول خطواتها
 تشديد رقابة الأوروبية مشتركة في ثمرة »

فأنت أيتها أدت وجهت . لا تجد إلا هذين التوأمين
 يسيران معاً . ويعتمد أحدهما على الآخر . حتى يشتت في يقيمت
 أنهما شخص واحد . يعنى همدأً واحداً . ويعمل بأسلوب واحد

والخلق أهما كدث فإن في العلم تحاهين قديمين .
 اتحاهاً روحياً يرفع من شأن معبودات الحياة . واتحاهاً يعنى من
 مادياتها وقد سبت على لاتحاه لأور حصارب ثم ماتت .
 وورثها حصارب نحري في لاتحاه اثنى واكنه تشعراً دنيئاً .
 أألا حده القديم . يهدده . فهي في شد الحجة من أن تعمل
 كل ما في وسعها . لتحتفه . وصبروية لاسنعة رية . هي
 المادية في تكره غاية الكره . أن يكون في شرع روحية .
 وذلك فهي تحدره وشمعه . وما لاسنعة ر إلا استعماله . وفي
 كل صحة من صحت روح منه واكنه هه الصريح القديم
 المتحد . صرع روح ولاده . محتوم السبعة . معنوه العرية .
 فالغلبة فيه للأقوى ، وليس ثمة شيء أقوى من روح . . تغلب
 حيناً ، ولكنها لا تغلب إلى الأبد . . .

أحق المواطن .

لم تكن مقصدية محضة . أن يكون قسمل الثورة العربية في الحكم في إنجلترا اللورد ديرزبي ، وأن يكون على رأس الوردة الفرنسية في تونس وقت وعمة . وكلامه إسرائيلي . وأن تكون حيوز السياسة العامة في يد إسرائيلي روتشيلد ، واحتماع سياسة على حصة سياسة . كما يؤدي حتماً إلى تسجل العسكري لمسلح في مصر . الذي مهد للاحتلال البريطاني الذي دام ثنين وسبعين عاماً . وقت إسرائيلي وعمة . وروتشيلد من المؤمنين باليهودية العامة فيسوقهم مجرد إسرائيليين وقاد بينا . كيف كان لتعود وثقائين عمل هؤلاء الثلاثة ، وأحب أن أبين لك كيف كان تسجل عمتا . في الشؤون الداخلية المصرية الحديثة . تسجلا درست مقدماته ونتائجه ، قبل الإقلاء عليه . وأن هدفه الواضح المباشر لا تقوم في مصر ، حكومة وطنية . تستند إلى الشعب ، لأن قديم حكومة من هذا الطراز . يهدد الاستعمار العربي كله الذي يسده روتشيلد وأمثاله

ممن يعتبرون لأهم ، مجرد أسواق . وأن حقوق الشعوب . لا تزيد
عن أن تكون سبعة . توزن لا بقيمتها في ذاتها . إنما بقليل ما تزيد
أو تنقص . في قبضة لأسهم ولأوراق مالية .

وقد قامت في مصر سنة ١٨٨١ حكومة وطنية يرأسها شريف
ويسمى الحيش برعامة أحمد عري . وكانت الحكومة قد دعت
محس النوب للانعقاد . بعد انتحار حرت في حو من المودة
واوأم القومي . وبعقدت جلسته لأول في ٢٦ ديسمبر سنة
١٨٨١ . فعقد المصريون انعقاده عيداً قومياً . لأن الحكومة
والحيش والشعب . بدؤ في ذلك اليوم كتلة واحدة . لا يفرقها
مفرق . وتقدم شريف باللائحة الأساسية . التي الدستور .
وشرع النوب بدرسوها . كان كل شيء يبشر بأن الاستقرار
قد عاد البلاد . وأن عهداً من الإتحاح . وأعمال المشر .
سيشرش فحره . ولكن السليبي لأورويين كان صومهم يكاد
يعتير . كلما شعروا بأن الموضوعي بدأت تنحصر موحثها . وأن
إردة شعب أحدث ترتفع رأيهم . فأسرع دايوب إلى حمايتنا .
فرداهم يحدون عنده . مثل ما عملهم من هم والخوف . فيتمتقن
على أنه لا بد من قيامة تصلي في وسطهم نحو الدين
بصحو . وانتهت مداولتهم ومشورتهم . إلى وجوب إرسال
مذكرة إلى الخديو . تفيض تهديداً للحركة الوطنية . ونحرك

نواعث المتفرقة بين الحديو والشعب . تأكيد حماية الأحياء
بحديو والاستيلاء سلطته في يديه

ويقول مستر بلس في صدد هذه المذكرة التي أرسلت فعلا
في الثامن من يناير سنة ١٨٨٢ :

« ولوقع أن المذكرة كتبت في كيه دورسي (أي وزارة
الخارجية الفرنسية) ولخدمة المطامع الفرنسية . . . فقد كان حاميتا
« في دعر من أن يتحد العلم الإسلامي أمام الثورة التي قامت في
« تونس ولحرثر صد فرنسا . وكان هو على ارتباط بالدوائر
« المالية العليا روتشيلد وكبار المدينين . »

ويقول مستر بلس في موضع آخر

« إن عمرو تونس جعل شهاب أفريقيا بأسره يشتعل ثورة ،
« فعاء خدمت وهو عارء على أن يستخدم أشد لإجراءات لأنه
« كان يحشى أن تقوم ثوره إسلامية عامة . لذلك رأى في
« الحركة الثورية المصرية . مصهراً حديداً لتعصب الإسلامي
« كما أنه لأصده اليهودي كان على صلات بمصالح المدينه العليا
« استعققة بمصر . فعوب على أن يسعى لعرض التسلح لأحسن في
« مصر . ومن ثم كان راعياً في أن تشترك معه حكومة بريطانيا
« في حركة صهيونية ضد لإسلام . . . باسم مدينة »

وهذه الصور وحدها كفيلاً بأن تريك عند مصر المؤمرة دائماً

وسلوها وهدوها . فالاستعمار يرى نفسه وحدة . ويرى الوطنية وحدة كذلك . ففرنسا حينما تجد حركة وطنية في مصر . تفهم بالضرورة . أن تحتاج هذه الحركة معاد . تأييد للحركة الوطنية في تونس ومراكش . فلا تقنع بأن تصرب الحركة في تونس ومراكش . وإنما تعمل على أن تصرب الحركة الوطنية حرجهما ولا تقنع بأن تقوم هي بهد العمل وحدها فتسعى إلى أن تصم معها وإليها ، بجنترا . ومن حيف هذا المسمى كله . ترى دائماً الماليين . وساليين الذين هم من صرار رونسيلد بصفة خاصة . وتبقى النورد حراميم . وزير خارجية بريصية . اقتراح المسبو حامستا . بالرحيب والتأييد . وأرسلت المذكرة إلى الحديو توفيق وإلى رئيس الوزراء شريف دشا في ثامن من يناير سنة ١٨٨٢ كما قلت لك . وقد جاء فيها . ما يستحق أن يبنى . فقد جاء فيها مثلاً :

« إن الحكومتين الفرنسية والبريصرية على تمام الاتفاق في هذا الصدد . وإن الحوادث الأخيرة . وخاصة لأمر الصادر من الحديو باحتجاج مجلس النواب » قد هيأت فرصة لتبادل (بجنترا وفرنسا) مره أخرى لآراء في هذا الشأن . فأرجو أن تبصروا توفيق باشا بأن الحكومتين الفرنسية والإنجليزية تعتبران أن تثبيت الحديو على العرش صفاً لأحكام لعمه ذات التي قبضتها

الدولتان رسمياً هو الصواب الوحيد في الحرب والاستقبال لاستتاب
النظام ولتقلده سعادة مصر وروايتها التي تهم فرنسا وإنجلترا .
إن الاستعمار يعرف بالخصص حلف من يحتمي . ولم يكن
ثمة فصل من الحديوي في ذلك الوقت . ليقف الاستعمار حلقه ،
وليقتذف بسهامه عن قومه .

هذا بعض من فعه حامت في سبيل وأد الحركة الوصية
المصرية . وتشئت مستوفها . وقد سبق أن أشرت إلى ما فعله
در رثي . بشرته أنهم حكومة مصر . في سنة ١٩٠٢ من لأسهم بمبلغ أربعة ملايين
عدها ١٧٦ ألف سهم و ٦٠٢ من لأسهم بمبلغ أربعة ملايين
من الحبيات . وكيف أنه ورد وشهد أنه التصديقي قد دبراً ثمن
هذه الصنفة وقدره ٤ ملايين من الحبيات في عهده البرلمان
البريطاني وبلا موافقته

وأحب أن أروي ذلك . كيف نقب هذه لأسهم العالية من
مصر إلى بريطانيا في ذلك يريك كيف يجمع الاستعمار عناصر
حمده على بلد يتولى وثوب عهده

بعد أن حكومة البريطانية شترط عدم دفع ثمن إلى مصر
ولا بعد تسليم لأسهم دتها . فأمر حديوي إسما عيل ، الذي
دع هذه لأسهم . تسليم انفصلية البريطانية هذه الأسهم جميعاً
مودعة في سعة صناديق . وتم التسييم في انفصلية بعد أن

بعضهم يستعين باشا مفسش ورر به حنقه ثم بصمت بحتم
 انقضاليه البريطانيه ومحكمة انقضيه . وكنت الحكومة ايرباصية
 في شقة على وصور هذه الاسهم إلى لندن . فأمرت الأميرية
 لبحرية ايرباصيه البحرة (ملار) تقدمه من حد أن تعرج
 على الإسكندرية . فلما وصلت - حرة إلى قناة السويس ،
 استقبل الحبرل سنتون قنصل ايرباص قطراً خاصاً من القاهرة
 إلى الإسكندرية ومعه اقسادق السعة حتى جنوب ١٧٦ ألف
 سهم . وكنت قد فرغت في أربعة صناديق كبيرة من اربط
 وعند وصول البحرة سمع هذه صناديق في قوما - بحرة
 نهم . وقد وصلت إلى ميناء ورسموت سلمها مندوب كبير
 من البحرية ايرباصية نهم .

هذه حارب من الثورة العربية لا يجب أن نغتنه يجب ألا
 نسي دائماً أن السياسة في خدمة لاقتصاد . هو السيد لأمر .
 وليست سوى خادم لمصير . ندى وهمه لله أو شيطان قدرة
 على اشكل والملوك . ولا حياء ولا توء ، لم توهب لسواه
 فالأقتصاد حينما يحتاج لأمر يوحى لسياسة أن نحتار لاسم وثوب
 اندين تصفيهما عليه فهي حيناً تدفع عن حقوق الشعب .
 وهي أحياناً أخرى تدافع عن حقوق ملك . وهي نذرة تدفع عن
 الفقراء ، وهي أخرى تدفع عن ثوب لأعياء . وهي في كل

حين تجد المرأة وتقسمة . على أن تبدي دفاعها . كأنه صادر
فعلا من أعرق قلب . ذلك لأنه صادر من أعماق الحب .
وإن كثير من لأحب بهم الحب ويوحى . مثلما يوحى
وبلهم القلب

هذه حرب آخر . فعمله نورحون في يوم أسبب الثورة
العربية . أو على الأقل أهملوا بيد مثله في جميع أسبب هذه
الثورة . وحدير بنا . ونحن نرجع تاريخنا . ليراجع حاصرنا
وتقبه على أسس سايمة قوية . أن نرجعه

وعلى بهلاء الخدمة الحشوية وأثره في صم صفوف الغلاحيين
في الجيش المصري وفي تشييد إحدس المصريين بتغليب المعاصر
الأجنبية عليهم وفي خلق هيئة الخديو إسماعيل ونصده من أنفسهم
لقد أتت الخديو إسماعيل حمة . على رأسه . حزن مستول .
في الحشد وكب إندد هذه حمة . صورة نموذجية للتفكير
ساكني . في كل عصر . فقد عدت هذه حمة ومصر عذرة في
ديون . وكب لأحد وسعوب رقعة نفوذهم المستر المتورى
سم هذه الديون

وقد كانت حرباً **أمرأ** متوقفاً وقد هزمت فعلاً هذه الحملة .
وتكبدت نكبات حسرة ودحة في الماب والأرواح واعتاد . وعدد
الجيش . يحمل معه حريم الثورة التي بقيت مع الجيود الغلاحيين

حتى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . أقول ذلك ، ولا أهزل . فإن
انثورت . أو على الأقل فكرت انثورت . تتوارث كما
يتوارث من صفت وموهب وحسن

عاد المصريون ، جنوداً ، وضباطاً ، والسخط يملأ نفوسهم ،
فقد أدت الصفة الملية إلى احتيـص لأحور وشرحات . فهم يعان
من هذا احتيـص سوى المصريين دون غيرهم من صراط الجيش
وحجوده هم قامت وحدة من المصـحـر مصرين ولجلاء مصريين .
وشعروا جميعاً بأنه لا وحدة لهم إلا أن يكونوا شيئاً واحداً .

ونقد كشفت حملة الحشـه شلاء صـطـط . ما كشفت حملة
فلسطين في سنة ١٩٤٨ لأسانهم من ضعف القيادة . وضعف
النظام كله . وحلوه من الغنية التي تسبب فـعـلـ ذلك بقية الثورة
فما أشبه لينة به رجة . وهـ كـل ناريج مصرى الحديث .
فإنه يكمل عصه بعضاً بيداً لآء . وبشي لآء . ولأمل . أن
يرث لأحد . وصاً فوباً . حباً من شونب لصعف . وآفته
قادراً على حمل رسالة شوة . كـ فـوى ما يكون بـء اوض

أنهى المواطن

لقد عرفت كيف دبرت الصهيونية التدخل لأحسب المصلح
 في مصر . وكيف تدور وتنشيد . وحدهم ودرر ثيل . وثلاثتهم
 من الصهاينة ، على الدفع بالسياسة الإنحصرية الفرنسية ، إلى
 الوجهة التي نعمل لأحسب العسكري لمصر . عملاً حتمياً ،
 لا قرار منه . فهاهنا حدث لأفلاء وصحف . ووكالات لأساء
 لصور الحركة العربية كحركة تعصب بربري . تهدف إلى
 إخضاع عن لأحسب . وذبح المسيحيين . وأند حوت حملة
 الصنع وتشهير . في حين من أحمد عرابي ، فهي حينها ترى
 اجتماع لشعب حوله . ومبادئه بحرية المصريين ، تقول إنه
 إسافي . تنسب قصة مصر وأحد على عاتقه لدفاع عنها . وأن
 لشعب مصري ندي ص . الحكم الاستبدادي عليه . عظم هم
 يعد في مقسوره أن يد رشياً قوياً . مؤمناً بنفسه واثمته ، كما
 كان أحمد عرابي

وهي حينما نره مصمماً على أن يضيق الحناق على الحكم
الاستبدادي القاسي ممثلاً في شخص الحديو . وبالنسبة على
وقوف في وجه إطماع رثمية لأوربية رموه بالجهل . وبكراهية
تقدم وبالتعصب لأحمر . ولكنه في الحالين . كان يبق في
قلب الاستعمار الخوف وضع . لأن هذا الاستعمار كان قد
فرط يديه سروراً وفرحاً . حينما عرف الحديو سديين . قبل أن
تشب الحركة الوصية الشعبية عن الخوف . فقد كان منهم عصب
في صعب الحديو توفيق . وتردده وتذبذبه وخوفه من المصريين .
وشده تم فته على سلطان عرش . وكان منهم فيه عصب .
وكان الحضر المحقق بهذا الأمر واكتناه . هو استقرار الرعمة
العربية .

ولكن لا نقول يا سيدي الموص . أن الحركة الوصية
التحريرية كانت شخص عري وحده تسعت منه . وتعتمد عليه
وتتحرك به . فحصر وعري . في هذه المرحلة . كانت كالصوت
والصدى . أو شخص وصورة في مرآة . فقد كانت مصر قبل
الثورة العربية مضطربة تحت الحرية . وبصموح من محم . وقد
حاولت أن تحقق ما نقت إليه . وما ضمحت له . في عهد
الحملة المصرية . وقبل عهد محمد علي . وفي هذه . فشعبت
الأعاجيب في فترة صغيرة من زمن لا تزيد عن تسع سنين

في هذه الحنفية التي لا تتحور عن صهي حرمت مرة عربيين
وضيقت عليهم الخناق . وألحاهم إلى الفرار . بين سني ١٧٩٨
و ١٨٠١ . وعزلت وإلى تركها وألقت سبي كهلها ببر الاستعمار
العثماني في سنة ١٨٠٥ وألقت بالإنجليز في رشيد سنة ١٨٠٧
وهي أعزل لا تصدر عن شعب عقيم . حريع . وأولاً أسلوب
حكيم لندي سنها محمد علي . لا تضردت غروت وفتوح هذا
الشعب الماجد الأبي الخلاق .

فترة محمد علي لم تكن إلا تأجيلاً لكفاح الشعب .
استكملت خلالها مصر ، كيائها كدولة .

فكان حتماً إذن أن يعود الشعب إلى المسرح وأن يستأنف
ما بدأه في سنين لأخيرة من القرن الثامن عشر وأوائل ثلث
التاسع عشر

فترة أخرى . ليست إلا تحديثاً لكفاح المصريين .
وحقيقة جديدة في سبيله تصدمت إلى استمرار حتى بلغ مرحلة
عصبي من مراحلها في ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢ ، ثم استرسل في
ميدانيته التي فتحت أبوابها له ، وكانت حراماً عليه .

• • •

لقد درجت الكتب . ودرج الكتب . على أن يتحدثوا في
الثورة العربية عن كل شيء إلا دور الشعب المصري . فهم

يتحدثون عن مقدمات الثورة وأسبابها وعن يوم عشرين الذي
اجتمع فيه الجيش ومن حنقه شعب في خلال سنة ١٨٨١ .
يوم أن أعس عربي أن الشعب ليس مبرئاً وعقاراً. وأن المصريين
أن يورثوا بعد اليوم . ويتحدثون عن حرق الإسكندرية وصرها
وعن تل الكبير وهرطقة فيه . ونحث عن الشعب في هذا كله
ماذا فعل . وبأى شيء ساهم . هل كان يشاهد ويتفرح هل
كان يساعد ويتطوع ويتبرع ؟

والجواب على ذلك يأتي من لأحزاب ومن عربي نفسه . .
أما لأحزاب كالسويسري حزب بييه . وكالإيجيرى بلست .
فقد اعتما في تصوير صورة رائعة . لشعب مؤمن . قوى لشكيمة .
حارب في ظل أسوأ الظروف ونعس . بلا سلاح . أو عتد .
أو حطة سافه . ومع ذلك احتمل واستمسل فما عربي .
فحسبك أن تسمع منه .

« قامت هذه الحرب شعواء وليس في حرية الحكومة درهم
لأن امرقب الإيجيرى المستر كلفن أحد الأمون من حرية
المالية وأرغى في لئونة لإيجيرية (لأسطوب اليرضى) قبل
إعلان الحرب . أيام وكانت الأمون الموحودة في صسوق الدين
العمومي وقد حملها أعضاء قومسيون لفسدوق إلى امركب الحرية
حيث أموا عليها . »

« وبيد على ذلك تحرد في مجلس العلم إلى مديريات
 بتحصيل الثموم من لأهل عن كل خمس عشرة قروش .
 ومن شاء أن يترع بشيء إعدته لإخوانهم المحمدين في سبيل
 المدفعة عن وطنهم وحفظ كرامتهم وشرعهم يقبل منه مع إعلان
 شكره وأنعم ذلك لعموم حادث الأمة على حداد مدتها
 وحبها من الغلال وخيل وحول ودانة روميس والأندلس
 والندكة والخفروت حتى حصص خربق »

ومن لأهل من ترع نصفه بمسكة من الغلال والمواشي
 ومنهم من حرج عن جميع مقتنياته ، ومنهم من عرض أولاده
 للذبح عن الوطن بدم قسرة على الدفاع بنفسه وبالجملية فإن
 لأمة لمصرية عن كبره . قدمت من التبرعات وأظهرت من
 الشجوة والغيرة ، لم يسبق له عهد في القرون الخالية أسأل الله
 سبحانه ونعمه أن يجري الأمة خير الجزاء وأن يرد لها حربتها
 وستقلاها

وقد نقل الأستاذ محمود حنيف في كتابه عرى أرعيم
 امتنرى عليه كتاباً أرسله من منفاه إلى صديقته صديق مستر
 بلسن أكتب لإخوتي مدى كان على صالة عرني وأعرابيين
 وقد جاء في هذا الكتاب

« رحو أن تذكر صديقنا مستر بلسن فصلاً عما كتبه إليه

«بتاريخ ١٥ حلى (يوأيه سنة ١٨٨٣) أن جميع سفقات التي
لرمت مدته ألف حية مصرى أثناء حرب كدت كلها برعت
من لأمه المصرية بغير تغيير بين أعدائه . فقد بدأت حرب ولم
يكن هناك أكثر من عشرة آلاف حلى ولا أكثر من ألف
وثنى حنة عسكرية في بحر . وحتى هذه لم تكن كما . ولم
يكن لديها أكثر من ألف وخمسمائة علف من الحبوب . ولكنه
عند نهاية الحرب كان لديها في مستودعات جيش وفي مزارع
اشغلتها وبحر ما يزيد قيمته على مليون من حبات من من
ومستحبات الرداء . وأمر وخدموس وعم والأفشة . وكل ذلك
قدمه هدية من لأم الجيش مدفع عن وضها . ولم يبق على
الجيش شيء من ذلك . ورحم واحد من حربه الحكومة .

بأنس في هذه . رة لأجيرة . تتحدى لك الثورة العربية .
في ثوب آخر ، وسهم الحرب في قدم بين مصر ومريضايا في
سنة ١٨٨٢ في ضوء جديد .

والثورة ، كادت ثورة شعب . بكل ما في كسمة من معنى
شعب بجميع طوائفه وأفراده . بكل طوائفه . على اختلاف
مركزهم وعقائدهم وثروتهم . يتعمون جميعاً . طوعية ولا إكراه .
حلف مثل أعني . يؤمنون به . ويعملون على تحقيقه
وأى شعب هذا الذى يفعل ذلك ؟ شعب أثقته ديون لأسرة

الملأكة . وجمعت عليه دسائس اندوس . واحتاصب بين صنفوه
أحاسس شتى . كل منها يبيح له عن مأرب . شعب لم يكن
يعرف من خيرة إلا السحرة . ولخروب التي ياتي إليها كحطب
المر . لا يعلم في عيه . ولا يدرك لها مسأ

شعب يفت ملكة في حب . وفائدة في حب . ويعت
به وفائدة . رسم انصائل حتى أوشك أن يكسر بها جميعاً ،
لولا عرقه . وضائه . وثمة في وجه لأحداث وثن
شعب يحر . وحرية التي حتمت به المذل . من عرقه ،
ودمه . بهم أعدوه حتى لا يجد قوت يومه . . .

هذه شعب هو محمود آشد بين صورهم لنا التاريخ
زئف . صغء . حبسه مرددين . هذا الشعب ، هو نحن
فلنوه ونفس

قد تحمل كلام الزعيم محمد عري . على محمل المناقعة أو
المهارة التي يضطر إليها الزعيم صطراز . ومن ثم وحب أن نقراً
ما يقوله الشيخ محمد عبده . ولم يكن على اتفاق كامل مع
زعيم ثورة عراقية بل في الأمر بينه وبينهم انتهى إلى ما يشبه
الخلافة لصريح اقراء يقوى في خطاب أرسله من السجن إلى
مستر برودي الذي انتهى رافع عن عراق أمام المحكمة العسكرية
الخاصة التي شككت بحاكمته .

«هل يقدر أحد أن يشك في كون جهنم وطبعا صرقا بعد أن
 آزره رجال من جميع الأحاسيس والآداب فكيف يتألم المسلمون
 والأقباط والإسريثيون لحسنه خمس عرب ومكمل ما أنونه من
 قوة لا اعتقادهم بها حرب بين مصريين وإنجليز
 أعلم أنه قيل إن الحديو كان بحرب حيشة . بل المعروف عند
 الناس أن الحرب وقعت برصده وبأمره وقد رشح هذا الاعتقاد
 عند ما علم الناس أنه أقبل عرف من منصفه (كورير للجهدية
 أي العربية) لأنه لم يمثل أمره ، لا سحرر على المذمة وتحصين
 بعض المراكز اتقاء لروب لأعداء منها »

أخي موصى .

لقد هزم جيش مصرى فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ فى
 التل الكبير ، وقد بقيت هزيمة تكونى حادثة . سر نثار ،
 اثنين وسبعين عاماً . ولكن هذه المرة . سحائب مع ارمين من
 در مصر . من در مصر . نبت عند حة . ووالاستسلام .
 اب هذه المرة هي في شملت في عروق مصطفى كامل . ومحمد
 فريد . دماءهما . فدعوت نحمد . من قسهما . مدداً من
 الإيمان بمصر . والإيمان بشرف النضال في سبيلها .

وقد بقيت حقائق هزيمتنا . معصاة بأكد من من لأكديت
 والأوهام . وندد بـ . حتى لم يبق من أساء مصر من يعرف
 بالسطر أمره . كدت شبه شىء موصى الدار . لا يحب أحد
 أن يتجه إليه . أو يقترب منه . فستعمل حصوم . هذا .
 فاشعروا أن مصر . كدت في هذه خريمة . مثلاً للأمة لهلهمة
 اتى ستلم لأور ركنة من قدم لأعداء . وهذا كذب
 صراح . في أساء مصر مهما انكسرت الحصوب . وتحالفت

عليهم الكورث يجمع منهم في ضلالم مصائبهم نور . يعلى أن
شمسهم لم تنطفىء . وإنما حجبها تحت كثيفة في ليلاء .

• • •

لا يجدن ما أن شر من موجهة هريمه مثل الكبير . في
حياة الأمم . لا تمضي كلها تتصرت . بل عليا أن تنفق أمام
هذه هريمه . وأن تنكر فيها . وتتأمل عاصرها . تعرف ما إذا
كان مردها . ليعيوب أضيائه فيها . ثم لأسباب صرته . عارضة .
تشبه ما يطرأ على جسم الصبيح الموى . من عيل وأرض .
قد تصعته حباً . وكبها نرد على الأياد ما عنه

بحب أن نقر أولاً . بأن عدتنا في حروب مع الإسماعيل .
كبت حبش . فهل كبت حبشاً كثيفة حيوش الأمم . تنولاه
الحكومة والرعية ونهبي له أسبب نمو . وهل وجد من يحس على
إذكاء روجه المعنوية . فقد كبت لأسباب مباشرة لثورة عرى
وإخوانه . التفرقة حائرة في معاملة أساء الملاحين . وباء
الأترك والشراسة في الحبش نصري فقد كبت المراتب
الكبرى وفقاً على الدلاء والأحزاب . وكبت أعين السحرة التي
لا تمت في شرف الحسية بسب . تنوء حاصه لأساء الملاحين
وايس ثم أقتل حبش في أن تسوده روح تفرقة وأن يصمر
الحمدي كراهية . نقائده . وأن يعين نقائده الاحتقار .

لعساكرة . وقد مر بنا في حديث سابق . أن مما عجل بإشعال
 در الثورة . في قلوب صباط مصريين الذين قادوها فيما بعد .
 ما رآوه في حملة مصر على الحبشة . من استئثار الصباط والقواد
 الأتراك . بالمرتبات . دون الصباط المصريين وحمودهم . الذين
 أحرمهم الأتراك من قس من قس رواتهم ومكافآتهم . وقد
 سجلت الثورة العربية في بلاد الجيش المصري من القيادة
 التركية الصلبة الخاصة . وبدأت تنفج في هذا الجيش روحاً
 حامدة . وقد كان هذا التحول حقيقياً . بأن ينشئ من الجيش
 المصري . قوة عسكرية . كاملة بحسب ما حسب لولا أن
 أحدثت السياسة الداخلية والخارجية . تعاقبت في سرعة . حتى
 كانت وقعة النيل الكبير في ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ . ثم أعقبها
 لاحتلال

من المستحيلات . أن تكلف جيش مصري . أن ي
 يكن يبلغ ثمانية عشر ألفاً من الحدود بحكم القيود الدولية التي
 فرضت على مصر . وهي كان قلبه وعقله أحسباً لا يفسد
 شعور مصر ولا يفجر . لا تنساب إليها . ولا يفكر في سعادتها
 ورفاهتها . بل من المستحيلات أن تكلفه بأن يحوص حراً
 دحمة مع دولة كبريىيا ، كانت بلا جدال في ذلك الحين ،
 أعنى دول العالم . وأوسعها رقعة ، وكانت في الوقت نفسه ، أكبر

قوة استعمارية، مرنت على العبث بالأمم وتفتيت قواها بالدسائس وبث الفتنة .

لم تكن الروح المعنوية ، وحدها ، هي التي تنقص هذا الجيش ، ولم تكن قلة عدده هو العجز الوحيد الذي كان يشكو منه ، فإن مورده كانت أقل من أن تعينه على مذلة الإنجليز فقد أعلق الاستعمار والصعياذ والإسراف . أبواب المصانع الحربية ، فأصبح الجيش المصري عائلة على أوروبا . يستورد منها كل ما يلزمه من سلاح ودخيرة وعثاد . فلم يكن والحال هذه في مقدور أحمد عرابي ، وهو يعنى بلاده ، أن يربد من سلاح الجيش ، لأن باب هذه زيادة مقفول في وجهه للأسف الشديد . وقد تسأل ، ومن حقت أن تسأل كيف لا تكون معنوية الجيش المصري ، الذي حارب الإنجليز سنة ١٨٨٢ في أعلى مراتبها ، وهو يخوض حرباً وطنية ، ضد عاصب أحنى ، وكيف يتمتع القوم بضعف معنوية الجيش المصري مع ما عرف ، من اشتعال مصر كلها حماسه وعضياً ضد الإنجليز . ومع ما ذكرته من تسابق مصر إلى التبرع بالأقوات والعلال والثياب والعتاد ، للجيش المصري حتى بلغ مجموعها أكثر من مليون من الجنهات كانت مصدر الجيش والحكومة ، في الإنفاق على الحرب بعد أن حلت خزائنها من كل ملهم .

بعد أن سطا المستر كفى مراقب وررة المالية الإنجليزى على
هذه الخزائن . فمثل ما فيها من ما إلى الأسطول الرىصى الذى
كان راسياً في مياه البحر الأبيض .

وكفى في الواقع كان هناك فرق شاسع بين تحمس الشعب
للدفاع عن شرف بلاده . واستعداده لنتزع ، وبين معوية
الحيش المتأخر . ذلك لأن الحدى الذى يطلب منه أن يحدو بدمه
وأن يحتمل أقصى المشقة وأن يكبد أقصى التضحيات ، يحتاج
لشيء أكثر من الحماسة العامة . لكي يشد قدمه ، فلا يرغب
بصره ، ولا يهين بدمه . لا بد أن يكون متنبهاً بهدف الذى يحارب
في سبيله . وأن يكون مدركاً التفضية التى يدافع عنها ، وأن
تكون لديه مدعة ضد دعوى الردد وهزيمة فإن سمع منها
شيئاً أصم أدبه عنها . ومضى في طريق الكفاح ، لا يلاوى على
أحد . ولذلك تعدد الملايين على إعداد الحيش مادياً ،
وتفوق المديرات لإعداد الحيش معوياً . وهى لكي تنجح في
الإعداد . تبدأ به في المدرسة . ولرب . ثم تتبعه في الطريق
وللعبد . فليس كروياً أن تقوى بالحدى داخل الشكبة . أنه
يحارب في سبيل بلده . بل يجب أن تردد هذا على أذنه . وهو
بين أفراد أسرته . وهو يصارع صحيفته . وهو يتناول طعامه وهو
يتسلى في المسرح والمقهى .

ونفذ كان من سوء طالع الثورة العربية . أن الحرب دهمتها
 قبل أن تنتسح لها فرصة تربية القومية . فقد بدأت الثورة في
 أحرىات سنة ١٨٨١ وشنت الحرب في منتصف السنة التالية .
 وقد عمل الإنجليز دسحوا على مصر في يولية سنة ١٨٨٢ لأهم
 أدركوا أن كل وقت يمضي على ثوره . إلى هو تشتت الحدود
 وتمكين لعدتها . وتعيم لأسماء مصر . ولتين لهم .

ولا بد أن يذكر ال روف التي ولدت فيها الثورة . ولدت
 الثورة . وليس هناك مثل غنى وصبح . للمصريين ولدعوة
 في الإصلاح الذي . تسأثر بسب بعض الناس . ولدعوة
 إلى الإصلاح لندورى ستهوى فريفاً آخر . ولحديث عن
 القومية المصرية . يردد صعباً . على ألس فريق ثلث . ومن
 هذا الصبح اثنى لعش الأعداء وقسمهم . فقد كان الإنجليز
 يضررون الشعب مصرى . سم الحاديو . وفي الأمر . الذي أقامه
 على البلاد حبيبة المسلمين .

انظر مثلاً إلى اصلاح الذي دعه ابخير . وأولى في تسع
 عشر من أغسطس إلى المصريين

« نأمر الحصرة حسوية » يعلن الحرب قائد الحشوش
 الإنجليز بآن مقاصد الدولة التريضية في إرساها تحريره
 عسكرية إلى انقصر المصري ليست إلا لتأسد منقصة الحصرة

الحديوية وعساكرنا يحاربون فقط حاملي السلاح ضد سموه «
 والإنكليز هما يتكلمون باسم الحديو . فإذا قلنا أن الحديو
 فقد في نظر الشعب مكنة وفي الأمر لانهيجه إلى جانب الأعداء
 فهذا نقول في محمد سلطان باشا . الذي كان رئيساً لمجلس
 النواب . والذي ناصر الحركة العربية . وقفاً حتى استحق أن
 يسمى « باني المصريين » ماذا نقول في أنه أصبح رسول الحديو
 إلى انضباط المصريين . يعربهم بالكوص . ويخرضهم على التمرد
 ويغنيهم بحس العقبة . إذا هم انجازوا للحديو ، وتركوا عراي .
 لا شك أن محمد سلطان وأمثله من أعيان المصريين . لم يكونوا
 ليتنبهوا هذا التذبذب لو لم يكن الحديو عدواً للمصريين ولم
 يكن الحديو ليحرروا على مجاهرة امصريين بهذا العدو . إلا
 لأنه كان يطمع في أن يصدر الحليفة - أي سلطان تركيا
 إعلاناً بأن أحمد عراي عاص لدولة الخلافة . وقد حدث هذا
 فعلاً . في السادس من سبتمبر سنة ١٨٨٢ . أي قبل وقعة التل
 الكبير بأسبوع . وقد جاء في هذا الإعلان أن الدولة العلية
 السلطانية . تعلن أن وكيها الشرعي بمصر هو حصرة محامة
 دولة محمد توفيق باشا وأن أعمال عراي باشا كانت مخالفة لإرادة
 الدولة العلية . ثم التمس من جانب الحديو العفو فعفا عنه .
 ونال أيضاً من الحصرة السبائية العفو العام . وأن اشرف الذي

ناله أحياناً من الحضرة العلية السلطانية إنما كان من تصرّحه
 بالطاعة لأوامر مولانا السلطان المعظم الحبيبة الأعظم . وقد تحقق
 الآن رسمياً أن عرني بدشا رجع إلى رلاته السابقة واستند بالعساكر
 بدون حق فيكون قد عرض نفسه لمسئولية عظيمة لا سيما أنه تهدد
 أساطيل دولة حليفة للدولة العلية السلطانية .

فأنت ترى من هذا كيف تدهشت مثل الشعب في الثورة العربية
 تدهالاً يطل بعضها بعضاً . إذ استعمل الإنجبر كل قصبة .
 ليقتلوا الوحدة المصرية . باسم الخلافة . وسم ولي الأمر وسم
 الدستور . تعمل كلها في حبة . ويعمل الملاح المصري وحده
 برئاسة أحمد عراني في حبة عرلاء من السلاح . ومن ادس . ومن
 التحصير السليم صحيح . الذي يحتاج لمسحة من وقت .
 وتعاون بين العناصر فليس دون تحبياً على الواقع . ولا تشويهاً له
 إذا قلت إن معوية الحندي المصري . الذي كان يحرب دوماً
 عن بلاده أمام الإنجبر . لم تكن من القوة إلى المرحمة التي كانت
 تنصها حروجة لموقف . وشدة تأب الأعداء . وأو اتسع الوقت
 للثورة العربية . نقصت على الأوهام والأكاذيب . التي كانت
 تثار نارة باسم الخلافة وأخرى باسم الحديبو . وأخرجت الناس
 ثقافة وطنية ثورية موحدة . لجمع الصنوف . وسد الثغرات في
 وجه الأعداء .

ولا تضر أن هناك أمة من الأمم ، تؤمن بأى مثل أعنى ، في
يوم ولاية ، حين الأمم ، كالأفرد ، تخرج إلى الإصحاح في
الدعوة وكثرة نردبدها ، ونحتج إلى التذكر بها وقت الشدة ،
ووقت الرخاء حتى تثبت في نفسه ، فإذا عشيها بعد ذلك عاشية
من نحن استصعب أن شوب إلى إيمانها وأن تستمسك به .
وواضح في تاربع الأدب ، لوحد أن المؤمنين الأول ،
احتجوا إلى حقه غير قصيره من التربية ، ينلقوها على يد
الرسول ، نفسه ، ثم تعرضوا مع ذلك شخص الشك ، المرة بعد
أمرة ، حتى يشو بحر مرة .

وبأردب المثل ، على الحرق بين المقاتل الذي درب ،
ونفى تحصيله معوي ، وبين من لم يسعفه الخطر بمثل هذا
التدريب والتحصيل ، وفر ما يشوه أحد غري نفسه في مدكرته
فخصوصة ، في وصف ما أصاب الناس بعد وقعة التل الكبير ،
يقول .

ثم نصرت فوجدت أيماناً مردحاً بالخيل والجمال وعساكر
مشتتين وموئين ضهورهم لعدو همت إلى المنطرة حتى على
البرية هناك لأجمع العساكر من الفرار وصرت أفاديههم وأحرضهم
على الرجوع والتمسك وانصبر على قتل العدو ، وأذكرهم بشرف
الإسلامي وعرض ووصف ما كان يسمع أو يبصر .

ولكن لم يكن هذا حال الجميع . فإن المصاط الدين لم
تؤثر فيهم بلاغات خليفة بن عثمان ولا دعاوى محمد سبصار . ولا
رشاوى محمد توفيق . استطاعوا أن يسجلوا صنتحة من أشرف ما
انطوى عليه تزيين الكشح من أحسن الأوضان على مر الخلق .
نعم استطاع محمد عبيد وأحمد فرح وعبد الله در عبد الصمد .
وحسن رضوان أن يشحوا الأعداء حراجاً . وأن يدفعوا عن
بلادهم ذل العار .

أخي المواطن .

لقد هربنا الإنجليز في التل الكبير سنة ١٨٨٢ كما حدثت لك
ولكن لم يكن ذلك لنقص في رجولتنا ، أو لصعف في وطنيتنا ،
أو لخور في عريمتنا . وإنما للأسباب التي ذكرت لك أكثرها ،
قلت لك إن هربنا قد جاءت بعد قتال مشرف ، كانت
فيه موقف للشعب ولجنحيش معاً تؤكد أن مصر ، دائماً ، حينها
تجتمع لها رعاة ، مؤمنة محصنة ، تستطيع أن تثب إلى القمم
العالية .

وقد أنشر عليك صفحات من هذا اقتال المشرف
ولقد بدأت صفحات هذا اقتال . بوقعة الجيش والشعب ،
في معركة صرب الإسكندرية في ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ وبدأت
مقدمات هذه المعركة حينما طاب قائد الأسطول البريطاني في
١٠ من يولييه سنة ١٨٨٢ . من قائد القوى المصرية بأن يسلح
له مدافع هذه الطواني . وإلا فإنه سيفرض المدينة .
وردت الحكومة المصرية على ذلك الطلب الذي كان مفتوح

القتال بين الأسطول البريطانى بقطعه الفصحدة العديدة . وبين
الإسكسرية العراء ، قالت الحكومة :

« نحن هنا فى وطننا وبين قن حقا . بل من واجب عبنا
أن نتحد عندنا ضد كل عدو . باعت بقدام على قطع أساس
الصلوات السلمية حتى نقول الحكومة لإنجليزية أنها بقة ببنا
ومصر الحريضة على حقوقها الساهرة على تلك حقوق وعلى شرفها
لا تستطيع أن تسم أى مدفع ولا طينة دون أن نكره على ذلك
بمحكم السلاح » .

أخذ الأسطول البريطانى فى الساعة السبعة من صباح يوم
١١ يولييه ، بمطر طوائى مدمية قديمة التى لم تمتد إليها يد التعمير
أو الإصلاح أو التسليح منذ أنشئت . بقنبله . وكان حماتها
المدافعون عنها . يعلمون أن ما بخوصونه ليس حرباً . وإنما هو
مجرة يبحون فيها . ومع ذلك لم يتردد واحد منهم ، عن القيام
بواجبه . عبر صامع فى الحية ولاسع للسدة . ولست أمل من
أن أردد على مسمع إخوانى الشاه هذه السطور برثة التى رعتها
ريشة الكتب السويسرى حول بينه قال :

« ما أبدع هذا المصر . مصر الزمة المصريين . الذين
كانوا قاثين على مدافعهم . وهى مكشوفة فى العراء . وكأهم
فى استعراض حرنى لا يرهون الموت الذى يكسفهم ، إذ لم

يكن هم دوارع واقية ، ولا متاريس ، وكان معظم الحصون بلا
سانر ، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أثناء وادي النيل ،
كما نلمحهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال
الذين سقطوا في حومة لوعى ثم يعثو ليكفحوا العدو من جديد ،
ويستهدفون ليرن المدافع .

وإذا كان ذلك موقف المدفعية في الجيش ، ونظر كيف
كان موقف أفراد الشعب نقل لأمداد عدد الرمح الرافعى عن
الشيخ محمد عبده :

« كان الرحاح ولساء تحت مطر القمل ويبرن المدافع ،
يقعون ، يحترقون ويقدمونها إلى بعض يدي الطوحية ، الذين كانوا
بصر بون ، وكانوا يتعصبون بلعن الأميران ميمور ومن أرسله .
وبل عن أحمد عرقى نفسه .

وفي أثناء انشغال نضوج كثير من الرحاح ولساء في خدمة
الجاهلين ومساعدتهم في تنفيذ الدخائر الحربية وإعصائهم الماء
وحمل الخرجى وتصميد حروجههم ونقلهم إلى المستشفيات .

ونقل عن محمود باش فهمى في كتاب البحر الراحر :
ورأيت في ذلك الوقت بعينى ، حصل من عيرة لأهدى نحوه
رأس التين وتم كفيه ، وطوانى باب العرب وهمتهم في مساعدة
عك كرا الطوحية من جلبهم المهمات والدخائر ، وخرائطيش

المارود والمقتذفات هم ونسؤهم وأولادهم وبسئهم والسعص من
الآهلى يعسر المدفع ويصرم على الأسفوف .

قل لى ربك يى الموطن العرير ، مادا نعلب من شعب ،
أكثر من أن يواحه خطر ، بلا خوف ، ولا تذيبه الحرمة عتقة
عن موصلة القتال ، وألا ترجمه قوة العدو وتوفه فى سلاح ،
وتحصنه فى أسفوف صحم .

مادا نعلب من أعرق الحيوش وشده سلماً بقوى الحرب ،
وقدمها عهداً بامعرك ، لا أن نصلد لأهول امركة ، فلا
تصطرب ويخبط حارسها بسبها ولا تفر ونهم على وجهها ثم
تواصل عملها ، فى مكها ، وكأن موت لا يجيبها من كل
حارب ، وكأن نقش لا يتعقب منها كل حصوة .

ولقد فعل مقاتلون فى الإسكندرية كل هذا ، حتى تصور
حول بيته مكتب اسويسرى أن من كاد يوصل غنائ من
الجود فى هذه العلوى القديمة الحرة ، كأن شبه شىء بأرواح
الدين استشهدوا قد بعثت بعد لموت لتواصل القتال نفسه .

طن الإنجليز بعد أن أشعوا النار فى مدينة الإسكندرية
بقلائف أسطولهم ، أنهم قادرون على أن يحدروا إلى العاصمة
فى غير عناء ولا جهد . ولكن كادت للحيش المصرى وقته فى
كفر الدوار صلتهم وحييت أمهم فى انتصار وحيص .

وعلى الدين تحجلهم هربمتا في التل الكبير أن يعرفوا شيئاً
عن كمر الدوار .

انسحبت حامية الإسكندرية بعد ضربها بمدافع الأسطول
البريطاني فإلى أين تذهب ؟

قال محمود فهمي باشا رئيس أركان حرب الجيش المصري
وهو يستحوب في السجن بعد فشل الثورة العربية .

« توحها إلى كمر الدوار . وطلعا إلى المحطة ومنها إلى كنج
عثمان . وكان تقابل معاً حسن بك اس اشيع عثمان فوجدنا
هناك تلاً قديماً . فسأل عرابي عن اسم هذا المكان فقل له حسن
بك اسمه « تل الناصر » فتتعت إلى عرابي وقال إن ابتداء
استحكاماتنا يكون هنا . وأمرني بإبشاء مستحكات وحرر يطلب
العساكر وطلب الأنفار للعملية » .

واحتير هذا المكان المسيع . على انمور . يدل على فطرة
عربي العسكرية السبعة التي لم يكن ينقصها إلا تجارب حربية .
حتى تتمكن براعمها ثم تتوالى ثمارها .

ويقول لست في الشاء على هذا الموقع .

« لم يكن في وسع عربي أن يصنع حيراً من اتحاذه هذا المكان
مستقراً لمعسكره الحديد . لقد كان بعيداً بعداً كفاً عن مدافع
سيمور . ولم يكن يستطيع جيش مهاجم أن يبلعه إلا عن الطريق

الضيق الذى مهدد حط سكة الحديد . وبهذا لم يكن اقتحامه من جهة الإسكندرية فى حين أنه من جهة الأرض كانت الدلتا مفتوحة للجيش بإمدادتها التى لا تكل . وكان الجيش حر الاتصال بالقاهرة . وهنا استطاع الجيش أن يشت أمام الإنجليز بمجاح نحو حملة أسابيع . يصد كل الهجمات . بل يدفع العدو بهجمات مصددة إلى ما يقرب من أبواب الإسكندرية ولو لم يكن هناك دأب آخر للدخول مصر غير كمر الدوار لصنعت الحركة القومية سحاح »

هذه العبارة الموحدة التى نقلها لك عن دست . تنظر حقاً ، وهى توضح فى الواقع مأساة مصر . فلقد صد المصريون . عرو الإنجليز ، عند كمر الدوار . هذه الأسابيع الكثيرة فتحول الإنجليز إلى المنفذ المفتوح أمامهم . وهو قناة السويس . والحدب الشرقى من مصر . وهذا التحول ولآثره حديث سافضى به إليك فيما بعد ، فهو حدير سا أن يرد له ، وللملابسات الدولية التى أحاصت باستتصار الإنجليز علينا فى الميدان لشرقى ، فصلاً قائماً بدته لا سيما أن ما وقع فى هذا الجانب لشرقى من بلادنا سنة ١٨٨٢ بقى يؤثر على حياتنا العامة ، وحياتنا السياسية ، ومركزنا الدولى . حتى أبرمت اتفاقية الخلاء فى أكتوبر سنة ١٩٥٤ وسيمى يؤثر على حياتنا العامة . وحياتنا

السياسية ، حتى نزول قادة السويس إليها ، وتبسط عليها إرادة مصر كاملة غير منقوصة .

احضار عراني نقطة حمل الناصر ، لتسليحها استحكامات الجيش ، بعد انسحابه الإسكندرية ، وشهد إلى محمود فهمي باشا - هذه الاستحكامات . ومن حق محمود فهمي على أبناء الخيل الحديد أن يعرفوا اسمه ، وأن يعرفوا العمل الخليل الذي قام به ، وهو في الحق ، حذير بكل إعجاب وتقدير من أبناء مصر تخرج محمود فهمي من مدرسة الهندسة (كلية الهندسة) وسع في الدوا هندسي وقد رشحه ببوعه ، ونفوقه . منصب أستاذ لعلم الاستحكامات العسكرية . ثم عنها إليه في عهد سعيد بتحصين شوصى مصر الشمالية . ثم اشترك في حرب الملك التي نشبت بين تركيا وروسيا سنة ١٨٧١ ، فأضاف إلى خبرته الطرية ، تجربة عملية في الحرب ، إلى جانب تجربته العملية في السلم ، وكتمل له كل ما يلزم لتدفع عبقرية أصيلة ، اكتمل له حب الدرس . وفرصة تحريه أحداثه في السلم ، وفرصة التحربة في ظل الشدة أثناء الحرب .

وقد أمر محمود فهمي ، بسد ترعة المحمودية التي تهدد الإسكندرية بالماء ، ودرع الإنجليز لذلك إذ أحصوا أنهم مهددون بحظر لا يقل لأصولهم برده ، فأنعموا حمة قوامها

نحو ألف مقاتل يقودهم جبرال . فلما بلغوا موقعا لا يبعد عن
 خطوط المصريين بأكثر من كيلو ونصف كيلو . تصدى لهم
 المصريون بقيادة اليكاشين أحمد الشيار ومصطفى حسان وأوقفوا
 زحفهم أول الأمر . ثم رشوهم على أعقابهم . فصرخوا مهزومين
 وحدد الإنجليز هجوماتهم في اليوم التالي . وقد أعدوا له عدة قوية
 على وجه شرحه الأستاذ محمود الخفيف في كتابه القيم عن عرني
 وهو يقول في هذا الموضع :

« ولما لم يصروا ثانياً حاربنا بالإعجاب حثماً . ودافعوا في
 هذه المعركة دفاعاً مجيداً . ولما يكشفي محروس بلاء حساً في
 صد ميسرة الإنجليز ولم يمهله حرجه الشديد من أن يشاء عليهم
 برحاله . وكسك أظهر المكشفي محمد هودة بسالة وحساً
 عظيمين في اشحوم على قلب الإنجليز ومبسرهم . وحاء المدد
 بقيادة أحمد عمت وتعبات وحجاري ثم حاء ضمة . شامعه فرقة
 المرساة بقيادة أحمد عبد عتار . وبعد ست ساعات من القتال
 الشديد . ردت الإنجليز مهزومين ولحق بهم المصريون . حتى
 حجبهم الصلح عنهم .

وأخيراً ثبت للإنجليز أن حرق هذه الاستحكامات .
 يكاد يكون صعباً من الاستحيل وكان الخوف من متاع الماء
 لعبت عنهم . ومن حتمل قصف سحر عليهم . وإغراقهم . كما

أغرقهم المصريون من قبل في سنة ١٨٠٧ ، يريد في معويته
 ضعفاً . فاستقر عزمهم على أن يعروا مصر من حابب انشاة .
 أن يدوسوا في سبيل هذا الغرض . حياد تلك القصة . وكل ما
 تفصى به لاندقات الدولية التي وقعوا عليها . وانتموا بها .

إذن لم تكن هزيمة نيل الكبير ، لصعب إردتنا في القتال ،
 أو ترعرع عرسا على موصلته . وإنما لأسباب التي أوردتها
 لك ، والتي لا يسأل عنها لمصريون كشعب ، إلا بقدر ما يسأل
 الجسم السليم الصحيح . الذي تتسرب إليه ميكروبات الأمراض
 عن إصابته بالمرض .

كان أول التحم بين المصريين والإنجليز في ٢٣ أغسطس
 سنة ١٨٨٢ في قرية المسحوطه . وقد سقطت هذه القرية كما
 سقطت نبيشه . ولكن المصريين هاجموا معسكر الإنجليز في
 القصاصين في الثامن والعشرين من أغسطس ، فأحلوا الإنجليز
 عن الموقع الأمامية ، واحتلوها . وكف الإنجليز عن الهجوم
 بعد اخزيمة نحو أسوعين . لأن سلاح الحياة الذي أرادوا أن
 يصربوا به المصريين من الخلف لم يكن قد أثر ثمرته بعد . ولم
 يكن السلطان قد أعلن بعد قرر عصيان عراي

همم لمصريون على الإنجليز في اليوم التاسع من سبتمبر ،
 فأخذ الإنجليز على عرة . وكاد يقع دوق كوت أسيراً ، وأبلى

الدوء على فهمي وراشد حتى بلاء حساً . إدمم بخرجا من المعركة
إلا بعد أن أصيبا بجروح أقعدتهما عن مواضعه افتتان .
وحل يوم التل الكبير . وكانت الحيلة قد فرحت .
وكانت حيلة لإنجيز والحديو والسلطان قد لأممت وسد ما فيها
من ثغرات . فأحيط بالمصريين من كل جانب . ولكن بقي
للشرف المصري جماعة ثبت لا أن تموت . وهي شاكية السلاح
ولا أن يمر الأعداء في حمى الوص . على حثائها الصمد .
فأحاط الخاود . هذه الأسماء بإضاره الساقى على الزمن . نعم .
استشهد في ذلك اليوم . استشهاد الأرض لأمير لاي محمد
عبد . وأحمد مروح . وعبد القادر عبد صمد . وحسن رصون .
ولسقط أسماءهم ولبسقتهم على قبور آبائهم . ليعرفوا أن مصر
لا تتحل عن الشرف حتى في يوم خريبة

أخي المواطن :

السؤال الذي أود أن أصرحه عليك وأن أرفقه معك هو هل
 كنت يستحيل على الإبحير أن يهرمو المصريين في ستمبر سنة
 ١٨٨٢ . لو لم تكن قدة السويس قد شقت ، أو لو لم تتردد
 قبدة الثورة ، مربية . في ردم هذه القناة ؟ وسدها في وجه
 الأساطيل لإبحير . أتى أثرت جيوش برصانيا . على شاطئ
 افقة ؟ وهل أحضر لتي مرفى وإخوانه لم يبدروا إظهارهم لقناة ؟
 ولكني مستحضر معاً عصر الموضوع ، أذكرك كما سمعت
 إليه الإشارة من أن الإبحير عجزوا عن أن يخترقوا حصوط
 لامتحكامات التي نشأها محمود فهمي رئيس أركان حرب الجيش
 المنصرى في كهر الدور . وأن محاولاتهم التي بدوها خلال خمسة
 أسابيع . في هذا السبيل ذهبت كلها سدى

فأجده الإبحير إلى الناحية الشرقية . ومحاولة التسلل منها
 إلى بلادنا . كان نهجها مقروضاً عليهم . ألزمهم به هزيمتهم
 في الجهة الغربية .

ولقد أحس ديليس أن قناة السويس . ستعب دوراً
 كبيراً ، في المعركة بين مصر والإنجليز . فوصل إلى الإسكندرية
 في التاسع عشر من رايه سنة ١٨٨٢ . حتى بعد صرب
 الإسكندرية . بمثابة أرم . ولم يفرح الإنجليز بمقدمه . لأن
 فرنسا كادت حليفة ، بالأ ترعى . بتردد . بحتة . بـه . عيمة . الثيمة
 مقيمة . أو كادت سياسة فرنسا في ذلك الخين تفهم شيئاً . أو
 تقدر على تنفيذ ما تمهه . وديس . كان فرنسا من دوى العرم
 لا يتردد تردد وررء فرنسا . فكأن من احتدل كثير . أن
 يوصى الحكومة بلاده بشيء يعرف مسامى . بحتة . وأخير كان
 ديسس رئيس مجلس إدارة شركة القناة . وكانت القناة موشكة
 أن تصحح مسرح بالحربة . بـاية . التي تحوص برصدنيا أوحاها
 وكان يحكم الزمعه الوثيق . بـه . القناة . فدرأ على أن يحدث في
 الموقف الذي حدثاً . د شأ لو أنه . عنصم بالعرم وإرادة .
 وقد توقع ديليس . أن يقوم المصريون بردم القناة . وتوقع
 أن يتصر المصريون . ولا تنجح الإنجليز في فتح مصر . وتوقع أن
 تنطلق يد الحكومة الوطنية وقتذاك في القناة . بعد ردمها . وتتردد
 احتوق أني ضيعها الحديو على المصريين ببسته الخمفاء . أو على
 الأقل ، ثور صعاب حديدة في وجه شركة القناة . لذلك حول
 ديليس أن يجمع الإنجليز من أن يبرأوا خنودهم في أية نقطة على

القناة . وهدد بأنه سيعطل القناة . إذا حرق الإنجليز حيادها .
 والتعطيل الذي كان يقصده ، دلّسبس شيء غير الردم . وقد
 شكت بريطانيا دلّسبس إلى حكومته على لسان سميرها
 في باريس . ولكن لم تضطر بريطانيا إلى تكرار الشكوى ، فإن
 دلّسبس لم يفعل شيئاً حدياً يمنع حرق هذا الحديد ، ولأن
 الأسطول البريطاني احتل مدخل القناة عند السويس وبورسعيد
 بقيادة أميرى البحر هوت وهوسكر في التاسع والعشرين من
 يولييه سنة ١٨٨٢ أى بعد وصول دلّسبس إلى الإسكندرية بعشرة
 أيام . وفي ٢ أغسطس أرسل الأسطول البريطاني حوذاً إلى الر
 واحتلوا السويس .

ويقول عرنى في مذكرته أن دلّسبس أرسل إليه في ١٤
 يولييه بشأنه عن ربه فيما يخص القناة في العمليات الحربية . فأرسل
 إليه عرنى يقول إنه لن يتعرض للقناة . إذ يحج في مع مرآكب
 الإنجليز من حرق حيادها . فرد دلّسبس في اليوم نفسه . بأنه
 ضامن ومتكفل بمع الإنجليز من اختراقه ما دام فيه عرق ينض
 وقد عاش دلّسبس . وبقيت كل عروقه تنض بعد أن احتل
 الإنجليز السويس . وأرأوا فيها جنودهم . ولم يفعل شيئاً . ولم
 يكن في وقع الأمر بهمه من الأمر إلا أن تبقى القناة سليمة .
 ما دمت حكومته لا تبغى أكثر من ذلك . ولا تفكر في أن

تقاسم الإنجليز السلطان في مصر ، أو تمنعهم عنه .
ولم تفعل إنجلترا لتحرق حرمة القنّاة . أكثر من أن تدبّع
عن طريق سفارتها في مختلف عواصم أوروبا . أن المصريين
بدأوا يقيمون طوائف وتحصينات في غرب القنّاة . ولكن لم تكن
في حاجة إلى بذل مجهود حدى لإقناع السوف بأن خطراً يهدد
القنّاة بعد أن ضربت الإسكندرية في ١١ يوليو ، على مرأى
ومسمع من السوف جميعاً فلم تتدخل دولة واحدة في هذا الأمر ،
أو تخرج عليه . أو تمنع بريصايا من موصلة سياستها التي
كشفتها هذا العدوان . كانت كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا قد
قررت نقص يدها من قضية مصر . وتركزت بريصايد حرة تفعل
ما تشاء . فهل كان عرائي محققاً في أن يحشى الرأى العام للعالمى
إدراكه هو أقدم على ردم قنّاة ؟

ولحق أن هذه القضية قضية الرأى العام العالمى ، من
الأوهام التي احتلت قسراً كثيراً من تفكيره لسياسى منذ قامت
الثورة العربية حتى هذه الأيام . وضح من المتعين عينا أن
تحلل هذه القضية إن عاصرناها لأصلية . حتى لا نتعرض
سبباً للصياح أو الحصران

ويجب أن نشبث أولاً . هل هناك فعلاً ما يسمى الرأى
العام العالمى . ويعبر تردد . أقول لأخى لموطن إنه موجود فعلاً ،

وأنه غير موحود أصلاً ، غير موحود لأن العلم لم يكن في
 يوم من الأيام معسكراً واحداً والمعسكرات الدولية الشخصية .
 تحقق دمجها ، آراء عامة بطريق التصحوة وما نروجه من أفكار
 ومعتقدات وخصائيت ولديك مشكلة واحدة . بصير العلم إليها
 من أكثر من روية وما يعتبر حريمة في معسكر ، يعتبر عملاً
 وصيباً في معسكر آخر . ويعتبر عملاً لا يستحق التعليق في
 معسكر ثالث . ولا يسمع به إلا فاقاً أهل معسكر رابع . ولكن
 يحدث أحياناً أن تقوم حرب دعوية بين معسكرين . وجوب موضوع
 معين ، فيجمع أحد المعسكرين ، في عرو المعسكر الثاني ،
 بشرائه وصورة . وإدعائه . وحديثه . فيبدو أن العلم قد انهار
 إلى الرأى الذى يمثله هذا المعسكر . ولرأى لعدم العلمى . هو من حق
 وضع بعض رهاب السياسة . هم وحدهم الذين يخلقونه ، ثم
 يبنونه باللوب لدى بعضهم . ويوجهونه إلى الوجهة التى تروقهم
 ولديك فإن تحدى هذا الرأى العلمى . لا يضيف إذ كانت الأدب
 التى تحلقه غير مستعدة لأن تقوم بحرب من أجل الدفاع عنه وفى
 تاريخ الحديث أمثلة كثيرة ، فقد ثار الرأى العلم فى فرنسا على
 اتفاق هور ولافل على تقسيم الحبشة بين فرنسا وإيطاليا . ولكن
 موسوسى احتل الحبشة . ولم يسمع هذا الرأى العلم فى رد حدى
 واحد من جنوده . وقد كان الرأى العلم . يعتبر إسبانيا هشتية ،

تعدت مع هتير ، ولم تشترك في الحرب ضده وصدرت قرارات
من هيئة الأمم بقطع لتمثيل السياسي بينها وبين الدول الأعضاء
في هذه الهيئة ولكن ذلك لم يمنع أن انتعاش بين إسبانيا وبين
الدول الديمقراطية يزداد ويتوثق وقد كتب ثانيا مسودة ،
فأصبحت صديقة وقوتها العسكرية تبنى بأموال الدول التي
احتلتها وقررت نيلها .

والرأي العام الذي تحلقه لمصلحة هو رأي عام متقلب .
لا يحترم إلا لأهواءه . ولا يعرف إلا لأمر الواقع ، فإن كنت
قوي ، تعرف مصلحتك . وتحسن تهر الخرص تحمته ها .
غير مختص بقيد من قيود لأخلاق أو عرف . ذات صدق
هذا الرأي العام لعلى . مهم حكم عليك في الماضي . أو
تجهم لك . تحمها يبدو أنه حتى فضيحة نديه .

والرأي العام العالمي ، يلعب لأمر سيجور الذي يصرف
مدينة الإسكندرية العراء في ١١ يوايه ويعتبر عنه محرماً ويؤلف
عن ذلك الإحرام كبراً . تترحم في سطورها لأدلة المثبتة
للمحرمة ولكن هذا الرأي العام نفسه حينما يسمح لأمبرل سيمور
ويخلص مدينته الإسكندرية ثم يحتل بحرل وليس رمية مصر .
يعترف به ويرميه هذا ، ويتعامل معهما . ويعمض عينه وهو يرى
أحمد عرابي مسوقاً إلى مصر ، متهماً باجرامه العلاط .

ولكن إلى جانب هذا الرأى العام المعروض ، الذى لا ضمير له ، يوجد رأى عام إنسانى ثابت مستقر ، يعرف العمل الصالح ويميزه عن العمل الصالح . ويصلر على كل منهما الحكم الذى يستحقه . ذلك هو رأى الناس المنجود عن الأهوى .

واكنه للأسف رأى لا يلعب فى دور فى علم السياسة ، ولا وزن له فى توجيه أحد لها لأنه رأى العامة المشرقين فى أنحاء العالم ولأنه لا يملك الوسيلة للتعبير عن نفسه

هذه هى حقيقة الرأى العام العالمى ، فإذا كان يفعل هذا الرأى العام العالمى فى أحد عرائى . لو أنه ردم قناة السويس . هناك فرصان . لا ثالث لهما فى هذه المسألة . أو أنه أن يردم المصبوب قناة السويس . ثم يردود الإنجليز على أعقابهم ويستقر الأمور فى أيديهم فى الدحل . فى هذه الحالة . لا يفعل الرأى العام إلا أن يضمر أكليز العرب على رأس حمد عربى وتتألب دول أوروبا على إنجلترا لأنها جميعاً تضمر لها الكرهية والحسد . ولأنها وإن كانت قد نقصت يدها من قضية مصر فإنها لم تنقص ذلك ردها أفيها . ولا انصراًفاً عنها . بل خوفاً من تبعاتها وعجزاً عن مفاضة إنجلترا . فى مواجحة الأخطار . ولتهيؤ لها مالب وعسكري . فلم تكن فرنسا ولا تركيا ولا إيطاليا تتمنى أن تزيد رقعة بريطانيا . ولا أن يتسع نفوذها ، ولم تكن ألمانيا . تود ذلك وبكيفية كانت ترى فى السكوت على

نشاط بريطانيا في مصر أن تتسع حوة بين فرنسا وإنجلترا ،
وفي السياسة كما في كل شيء آخر . يصدق قول الشاعر :

والناس من ينق حيراً قتلونه
ما يشئى ولأم المحطى الخبل
ومراني مجرم يهدد أمن مصر . إذ لم يتصرف ، ولكنه حينما
يطرد لإنجير ويسجح . يصح بطلاً وطيب . ويصح ردم القصة
عملاً . يمكن علاجه ، لا سيما أن ردم القصة شيء . وتعطيل الملاحة
فيها إلى الأبد ، وإضاعة مصالح حملة أسهم القصة فيها شيء آخر .
أما الفرض الثاني . وهو أن يحول أحمد عرابي ردم القصة فلا
يسجح فيه . أو يسجح فيه . ولا يسجح في رد الإنجليز عن البلاد
فدقيقته نفس العقوبة التي حتمت بها أعمال عرابي . حينما هزم في
الثل الكبير .

فلا دفاع بهس . عن حصن أحمد عرابي . في عدم راد
القصة ، والأساطير الإنجليزية تحلر منها . وتصعد فيها لتحتل
بلادها . البلاد التي جرى دم وعرق أبائها مجرى القصة قبل أن
تفتح . البلاد التي احتملت في سبيل هذه القصة ، من الولايات
والمصائب . وأنفقت في سبيلها من الأموال والجهود ، ما لم تدله
أمة أخرى في عمل يعود نفعه على الناس أجمعين أكثر مما يعود
عليها أو على أبنائها .

ولرأي الذي نقول به نحن اليوم في صدد هذه الخطأ قل به

المعصرون لأحمد عرافي من المصريين والأحاب الدين كانوا
يعصون به . وليس لم يدحروا وسعاً في الدوع عنه . هلك
السويسري حونيه بقول « إن عرنى رفض فكرة سد قناة .
وتمسك برأيه على الرغم مما تقضى به الحطط الحربية والفنية ،
وعلى الرغم مما ذهب إليه زملاؤه وما ذهبت إليه وكررت له
نرة بشديده الكرم ونرة بكسة على الرغم من ذلك كله صل
عرنى على رأيه . بمهد للحرث وليس بصراً من أسهل ما عرف في
تاريخ الحروب » .

وشئت أن محمود فهمى باشا الذى قدم تحصينات كهر
الدوار المبيعة . التى نحتت في رد الإبحار في الميدان العرنى ،
قد تصح عرنى مراراً بتحسين ميدان الشرق ، وسد القناة
وليس من الممكن الحرم بأن دمئس الحديو . ورشويه ، ودعاة
الفتنة . وساعين دأفيعه . ومال الإبحار . وحيدته من حنوا .
ليس من الممكن الحرم بأن ذلك كله كان سيؤدى إلى هزيمة
الحيش المصرى في الميدان الشرقى . لو أن قدراً معتولاً ، من
التحصين ، أقم في هذه الناحية ، ذلك لأن أسباب الهزيمة غير
المشروعة . دئماً لا تفرح . إلا حيث تجد الحو المسبب لها .
من التبادل والإهمال والتعريض في الحو . وقد وجدت ذلك
كله في الميدان الشرقى .

ويقول الشيخ محمد عبده . إن أحد عرائى كان يتصور أن
من اقادة «سيبرج» عليه جميع الأمم . . . مصر . ذهبت صحبة
فهم غير صحيح ، للسياسة الدوائية من جهة . وإن تفرط من
جهة أخرى . فإن عدم ردم شدة لا يستتبع أن نترك مصر من
الناحية الشرقية ، بلا أى نوع آخر من الاستحكامات

• • •

لقد رأينا كيف أحلنا أحمد عرائى . مكانه «عظيم الاتق» به
في تاريخ مصر . وفي تاريخ كفاها المكن من حق مصر على
عرائى . ومن حق تاريخها عينا ، ولا سيما ونحن نستخلص منه
العصاة والدروس لتستخرج منها المستحسنات . إن أحمد عرائى
أحسأ هذا خطأ لا يقع فيه دواع . وإن كان يشنع له فيه . أنه
كان رجلا أميا سديم البه أحد اليهود والموثيق الإنسانية .
مأخذ الصدق ، فقد حطبت عليه حقائق السياسة بدوائه بأفكارها .
وأحسأ بها ، فسرى في وعنه أن يرضينا لا نحرؤ أن ندوس حياء
القادة ، كما تحيل أن دللس قدر على أن يحسأ الله .
فليتهم أحماد عرائى . من بناء مصر . أن الحق الدولى
وحده ، لا يقع . لم نحرره نموه المدنية . وما لم يؤكد استعداد
الشعب للدفاع عنه .

أحى المواطن :

قل أن يقع الاحتلال البريطاني لمصر في ستمبر سنة ١٨٨٢ بمثابة أسوأ ولد في حي متوصع من حياء القاهرة ، لصبط مهندس . ولد ، كان ميلاده ، الوجه الآخر لحالة مصر ، في الحقبة الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنين الأولى من القرن العشرين .

ولحق أن الإنسان ليكاد يتصور . وهو بقرأ تاريخ مصطفى كامل أنه كان على موعد مع الاحتلال لبريطاني ، فإنه ما كاد يبلغ من الشباب المبكر . سن . خيال لمشوب والإحساس المرهف ، والإيمان بالمثل . والتجرد عن المصلحة . حتى وقع الاحتلال ولا يحسب أن مصطفى كامل كان قادراً أن يسلك في ماحرة الاحتلال . ومقاومته وإثارة الناس عليه والتشبيب بمصر ، وجهها ، وتاريخها . والإشارة بمقدتها ومدهرها المسلك الذي احتاره ، لو أن مصر تكبت بالاحتلال وهو في فترة متقدمة ، أو متأخرة عن السن . التي بلغها حينما وقعت سنة ١٨٨٢ . ولقد كانت مصر

في أشد الحاجة إلى شاب . يوقظ فيها شماسها . فقد كان كل
 شيء فيهم . عند ما وقع ذلك الاحتلال العيص . غرأ في القدم
 متحلاً تحس الشبوحة والحرم كانت لأمر . والعقائد والأفكار
 والأساليب والأدوات كلها متخلفة عن الزمن . نحلماً . لا ينع
 في رد لأحداث . أو في تحصيل وقعها . وكنت الحصرة التي
 تغزو مصر وتغزو معها الشرق لعرف . حادثة عابئة لحدث
 فيه لم يكن قد انقضى على تسخير البحر . في ساء هذه
 الحصرة إلا سواد لم نبلي بصف قرن . ولم تكن الكهرباء .
 ومسجاتها قد عرفت بعد . أو عرفت على نطاق وسع . ومن هنا
 كانت حضارة في طور صيدها . فلم تلق إلا قدماً متداعياً .
 ومباصياً . متلكئاً . فإن لم تسق لأقدار مصطفى كامل . لكنت
 الكفنان عبر . متكفتين إطلاقاً . ولكن مصر . التي كانت
 تعيش أكثر حياتها على مدى السنين على ما يشه
 المعجرات . وجورق الأمور . لم تخرج عن سبيل المألوف
 فأخرجت في الوقت المناسب مصطفى كامل ولا يعرف قدر
 مصطفى كامل على حقيقته إلا إذا أدركا أنه منذ اللحظة الأولى
 عرف ماذا يطلب من بلاده . وماذا يطلب من أعدائها العاصيين .
 طلب من الإنحياز الجلاء . وطلب من أهل وطنه أن يثقوا
 بأن هذا الجلاء واقع . لا محالة .

وقد يقول قائل . وأى عربة في أن يطلب زعيم من أعداء
الوطن . أن يحسوا ، والحق أنه لا عربة في أن نتصور اليوم ، أي
بعد اثنين وسبعين عاماً من وقوع الاحتلال ، أن شيء الصبيحي
الذي لا يتصور غيره . أن يطلب أبناء الوطن المعتدى عليه من
عدو بلادهم المعتدى . أن يتركهم وطهم . ولكن للاحتلال
واخر ثم صدمته ، تدهل لها الشعوب . عما يجب ، فتصترب ويسوء
فعلها كم يسوء قوفا . وتقع فيها لا تفره أو رضاه حينما تنوب في
عقلها .

وقد حدث ، لتعلن ، أن نصر كثير من اساس أول الأمر ،
إلى دعوة مصطفى كامل كم يصترب إلى من فقد بعض عقده .
وإلى لأذكر أن المرحوم «ع» ، بعد وفاة
مصطفى ، أكثر من أربعين عاماً . وبعد أن غلبت الروح الوطنية
على الأمة . قد في غير ما نخرج ولا نتم ، إلا قبل مصطفى
كامل على محطة حيون في ذات يوم . فدعه إلى الانضمام إلى
الحزب الوطني . أو إلى جماعه الوطنيين وأن عبد العزيز (باش) كان
لمصطفى كامل . أبعد عنى . . . الله يحسن عليك . .

وقد ردف هذا بإشارة من يده ، وأخرى من عينيه . معاً
أن عقل صاحبها كان حقيقياً

ولقد بقي هؤلاء العدلاء ، حصوماً للحركة الوطنية لا عن

خيانة وإيم عن نقص في الحيل . وفي الحرية . واحتلال في
 عزيزة الكماح عندهم . وقد كان من الممكن أن يقدم أحدهم
 صفوف الحركة الوطنية . في أعقاب الاحتلال البريطاني ،
 هيبتى الوطن ، بأكثر من الاحتلال نفسه . وقد حدث شيء من
 هذا ، في تاريخ الأمم الأخرى ، فقد سبق لعبدى رعيان أحدهم
 كوجهاء والثاني تيلاك ، فلم يستطع أحدهم أن يجمع الشعب
 الهسى كله ، حول زعامته ، مع أن أحدهم كان حادياً من
 العصبية القومية ، إلى درجة تحيف أبناء ديه . وكان الثاني
 منطوقاً ، في هذه عصبية إلى درجة تحيف أبناء الدين الآخر .
 وكان يعور كلاهما هذه الحيل المحدود ، وهذه الحرارة المحددة
 وهذا التحدد المستمر الذى كان لعبدى ، ومن ثم تأخرت
 الحركة الوطنية حتى وصفت الحرب العمية الأولى أوزرها في سنة
 ١٩١٨ .

وقد كان مصطفى كمال في رأى حصومه ، حليلاً ، منطوقاً
 وقد كان هذا عين ما تحتاج إليه مصر . بعد صدمة الاحتلال
 البريطانى ، فقد أعماه حبه على أن يرى مصر . بعد سنين
 طويلة . ولو لم يمتد نصره ، إلى مصر المستقل بعده . لما استطاع
 أن يدعو أحداً إلى المقاومة . ولما أحيى دعوته أحد . فقد كانت
 الديون قد بلغت في إرهق الملاحين وأصحاب الأقطار ، إلى حد

لم يكونوا قادرين بعده أن يشكروا في مقومة ، أو نصاب .
 خصوصاً بعد أن أضيف إلى هذا الإرهاق خيبة الأمل الناجمة من
 هزيمة النيل الكبير . وقد كان الجميع في حاجة إلى فترة
 من الاستحمام . فلما بدأ الاحتلال في التسلطات السدئية التي
 أدخلها على أداة الحكم . كانت مطهراً من مصادر النظام بدا
 أنه شيء عصم في أعقاب الموصى التي أشاعها حكم إسماعيل
 وظلمه وإسرفه . مع أنها كانت البداية التي حددتها لاحتلال
 لإقامة الحوار بين الحكومة والشعب ، وجعل أداة الحكم جهازاً
 خاصاً بالأجانب والأغنياء .

ولا يصر أحد بصوت بالمعموية المصرية . فيرى أن الشعب
 المصري . انفراد وحده دون غيره من الشعوب بدياس والاستسلام
 عقب الهرثم . فالشعب الأرسدي بعد أن قام في ثورة مسلحة
 ضد الإنجليز في أواسط القرن الثامن عشر . كره كل من يدعو
 إلى المقة ومرة ولينك اصصر رعماء الشين فين في القرن التاسع عشر
 إلى التحليل للوصول إلى قلب الشعب ، فبدأوا حركتهم بالدعوة
 إلى بعث اللغة الأرسدية التي انتشرت . والآداب الوطنية ، التي
 طمزت . وإلى تحديد العناء والرياضة القومية ، وقد اجتمع
 الوطنيون أول ما اجتمعوا في أندية الرياضة ، ومدرسة اللغة
 القومية . وفي جلسات التمثيل قبل أن يجتمعوا في ساحات التدريب

العسكري وقد تعارف المحاهدون الشبان . كرواد للأدب الأرسلي
وكأبطال في الرياضة المدنية قبل أن يتعدوا كحدود ومقتنين .
ولقد وصل مصطفى كمال إلى قلب الشعب المصري ، من
أيسر أسهل . وهو سبيل الحديث عن الماضي . وتغني
بجلائته ومفاخره . فإن المصري شديد الحب لماضيه وشديد
الحساسية له ، عظيم الإقبال على الحديث عنه ، وقد عرر هذا
بالتغني بحمد مصر ، وفي المصريين ميل إلى هذا الحديث ،
لأن عامتهم قبل خاصتهم . يتشغلون عبارات كحومع الحكم
وعامتهم يقولون « إن مصر أم الدنيا » وخاصتهم يقولون « مصر
كناية لله في أرضه من أرد بها سوء قصمه الله »
ولقد كان أسلوب مصطفى كامل آية في السهولة ، وليسر ،
خالياً من المحسنات اللغوية . ومن الحمل الاعتراضية ، ومن
الأفكار العربية ، تسوده حماسة متدافعة . تربط القاصه ومعديه
قلب الإنسان قبل عقله ، حد مثلاً هذه القطعة عن مصر
« ألا أيها اللاعنون انصروها ونأموها وصوفوها وقرأوا صحف
ماصيها ، واسألوا الزئيرين لها من أطراف الأرض هل حقق الله
وطناً أعلى مقاماً وسمى شتياً . وأجمل صبيغة وأحل آثاراً وأعنى
تربة وأصعب سماء وأعدب ماء وأدعى للحب والشعف من هذا
الوطن العرير ؟ »

اسألوا العلم يحكمكم بقصوت واحد أن مصر حمة الدنيا وأن
شعباً يسكنها ويتورثها لأكرم الشعوب إذا أعزها ، وأكبرها حمية
عليها وعلى نفسه إذا تسمع في حنفها وسلم أرمها لأحبي
« إني لو لم أولد مصرياً . لوددت أن أكون مصرياً » .

ولقد حرت هذه الفقرة الأخيرة على الألس . وحفرت في
الأدهر . وأصبحت شعاراً دائماً وهي إحدى العبارات التي
قصد مصطفى كامل . ١٣ . إلى تحقيق عريض الأوب .
الإعجاب بمصر . والثاني الثقة بمستقبلها .

ولقد اشتدت حملته . شمس لأستوب على الناس . فصور
للأمل صوراً جميلة أحادة . وصور للناس . صوراً دميمة كالحية
فقال :

« إن في مصر فئة من الناس نسبت أن الأمل دعى العمل
فلبست ثياب اليأس وفقت بطونها على مستقبل الوصر . وجعلت
مهمتها في الأمة تشييط أنفسهم وإقصاد لعرايمهم فلا تنادى في المخافل
والأندية إلا بأنه ليس لمصر حظ في المستقبل من الحرية والسعادة
الاحتمالية . وأن شعبها قد مات من زمن طويل وليس لمفكر
عاقِل أن يؤمن له مستقبلاً حديداً . وترى رجال هذه الفئة الدئسة
يتهمون كل رجل بالدفاع عن حقوق البلاد المقدسة بعدم الخبرة
وقصر النظر . وعندى أن الرجال اليائسين وإن كانوا أقل من القليل

يصرون بلادهم أعظم ضرر مما يقولونه ويكررونه .

ثم قال في موضع آخر :

« وثقوا أيها لوصيون الأشرار بأن المستنيل لكم ولاء . فاعملوا
لسعادتها وندكرو دائماً قلوب غمبتنا الشهير « ليس المستقبل
بمستعص على أحد » .

ولقد كان من حصائص مصصى كامل . أنه حطيب
وكانت معاً . وأن هو هو في حالتي الكثرة والخصلة . فحديثه
في الخليل . حصص في قلوب الناس ووصفهم . إثارة خيالهم .
ويرة طلامهم . وترويض لمتاعهم . واستحداث لكرام قوهم .
والهادئ الحامد من عناصر قوتهم

ولقد حدثني من أنحت له فرصة سماع حطاب مصصى
كامل . عن عظم تأثيره في سامعين . فقد به أقرب إلى تأثير
الضرب . منه في تأثير رجل السبسة فسد معون . بد عليهم عميق
الحب للحطيب . والاستمتاع بصوته وشكله . وشبهه . وهم
يتدفقون حلاوة صوته . وعدونه نغمة . وكان الية من الاجتماع
به . هو الإيصات إياه . ثم الانصرف بعد ذلك . كما ينصرف
رواد المسرح والكنهم حينما يؤولون في دورهم . بحسب أن شيئاً
حديداً قد دب إلى حباتهم . وأن نظرهم إلى الأمور . تعبرت .
فشؤون الأمة والدولة . وعلاقات الإنجليز بالخدو . وعلاقة

الخدو بالشعب . تبدأ في الاستئثار باهتمامهم مقترنة بتمسك من
الاحتلال وقوة قصته . ومن تدخل المستشارين في شؤون التعليم
والمال والإدارة . وهكذا دواليك حتى أصبح لإعجاب بمصطفى
كامل الخطيب . كراهية للاحتلال . ولكراهية للاحتلال ضيقاً
به . والضيق به تحضاً عليه . وهكذا أصبح مصطفى كامل
مرآة على فكرة وطنية . استحالت مع الزمن إلى عقيدة ، والعقيدة
أصبحت حافزاً للفضاء فبدأ يساوي بين الإيجيز .

لم يكن ينقص المصريين بعد هزيمة النيل الكبير . إلا أن
يستعيدوا حب انصاف وأن تتحرك فيهم عريته . وأن يدعوا
لاستسلام نهريته . وأرضها . وأياها من تعبير نتائجها
وقد نجح مصطفى كامل . في أن يوقظ الغريزة ، لأنه
قطع كل ما يمكن أن يقوم بين الاحتلال وبين الشعب . من
أسباب التناهم أو التلاقي أو المصاحبة . أصرر الاحتلال ، في
ثوبه الحقيقي . فعرف كل مصري أنه الغار ، وأن الشرف والعار
لا يتحورون ولا يتهادن . ولا يتفهمون . ولا يتقاسمون شيئاً
واحداً . ولا أرضاً واحدة . ولا يتمسك في هوء واحد . أو
يتغذيان من طعام واحد .

هذه جملة حياة مصطفى كامل ، وحلاصة رعايته ، وسر
خلوده .

أنهى المواطن :

ما الذى كنت بفعله مصطفى كامل . كل عام ؟
 أكرر يتجول بين عواصم أوروبا . باريس وينا وبرلين
 وروما . يورع حصبه غناطاً . على الخفل والودى . ويوزع
 مقالاته على الصحف والمجلات . بلا حساب ^٢ . بعض الذين
 يعرفون طاهر حيدة مصطفى كامل يتصورون أنه كان بعض شيئاً قريباً
 من هذا . أى أنه كان يحسن الكتابة وخطابة والحديث بالعربية
 والفرنسية . وأن ذلك أعانه على أن يتنقل بين العواصم . دعياً
 لمصر . مشيداً بأهميتها . مددداً بالاحتلال وهذا أبعد شيء عن
 الواقع .

فالدعاية ، ليست مجرد كلام جيد ، مصوف أو مفعوط . أولعلها
 هى كذلك إذا كانت دعاية داخلية . تحرى في السد الواحد .
 ولكنها حينها تكون دعاية دوايب . فهى تعتمد أولاً ما تعتمد على
 تحرى مصالح الدول والمعسكرات . وهذا يخرد من مثل الكلام
 الذى قساه عن الرأى عام اعدلى . حينها تحدثه عن موقف عراقى
 من قيادة السويس وسدّها أثناء محاولة الإنجليز احتلال مصر

فالدعوة التي توجه إلى أصحاب الرأي والمفكرين يجب أن
تختلف عن الدعوة التي توجه إلى رجال السياسة وأصحاب المصائب
وكلاهما يختلف عما يوجه إلى النوب خصوصاً إذا كانوا من
الأحزاب المعارضة للحكومة القائمة في بلادهم .

وجبني من بعض أن الداعي قادر على أن يحقق شيئاً لبلاده
إذا هو رجل في بلد من بلاد . قطع كماً . ومشورات .
وحلاها . بصور . ولأرقام . وورعها على أسس علم رأى
العلم في معمره العلم . لا يفعل شيئاً . ولا يحدث شيئاً . فمن حين
أن يتصور مثلاً أن كل مريض . أو أن أكثريه المريضين
مشغولون بمشكلة ختان مريضاً بالمصقة القمصة . أو أنهم يبعونها
ويقرؤون نساءها ومن حين أن يتصور أيضاً أن كل أمريكي
يعرف مشكلة إسرائيل . ويهتم بها . ويعرف أصل النزاع . بين
إسرائيل وعرب . فواقع أن مجرد العدي في البلد لمتعلمين من
الخوايات . والمشاعل . ويشكل . ما يبعده عن شؤون السياسة
عموماً . وشؤون السياسة العامة خصوصاً ولو أردنا أن نلمس في
موسمهم المؤثر الإنسانية . ليؤثروا في الانتخابات عامة . فإنما
نكون أقرب الناس إلى من يحوب حفر بئر . نس أبرة . ذلك لأن
تحقيق هذا هدف دمث يقتضينا من الزمن وحده سنوات وسنوات .
فما الذي كان إذن يميز مصطفى كامل كدعيه . وما الذي

رفع قدره في أحداث السياسة الدولية

بدأ مصطفى كامل حياته سياسية دولية . بدءاً صحيفياً .
فقد درس الاحتلال البريطاني كمشكلة دولية . فتوهم على تحري
أثره ، على مصالح الدول الكبرى . التي تتصاهر بعضها بقصد
الإحتياز . والتي يتحذر بعض الآخر تمحاضتها وعداوتها .
وقد بدأ إنتاجه السياسي في ١٤ أغسطس سنة ١٨٩٥ .
بإخراج كتيب صغير . هو خلاصة فهمه للدعاية لسياسة فعلاً
وقد عمود هذا الكتاب « أخطار الاحتلال البريطاني » .

نعم . هذه هي نقطة الابتداء .

أخطار الاحتلال البريطاني . وإما أن يكون للاحتلال
البريطاني حصوم بين الدول والسياسة وأصحح صحف وقادة
الرأي . فيكون للدعاية الدولية مرور . وإما ألا يكون له شيء من
ذلك ، فلا نفع من الكلام .

وهو حيناً بدأ يوزع هذا الكتيب . لم يقنع بأن يتم هذا
التوزيع ، عتباطاً بل قصد أن تصل هذه الرسالة إلى بدء معية
من بين رجاء السياسة وأهل الرأي . وكان في مقدمة سبيل
أرسل إليهم . السيدة حواييت آدم . ذلك لأنها كانت عدوة
لسياسة الانسحاب والتراجع التي سارت عليها فرنسا ثم إن إنجلترا
وعدوة بصمة عامة لإنجلترا . ولذلك تنقها بسرور . واحتضنت

صاحبها . وفسحت له مكاناً في صاومها العقيم لدى كان يصم الساسة
ورحان امكر والتقواد العسكريين والأدباء . فتعرف مصطفى
كامل بفضلته على النائب ديوبوكل . وعلى اشاعر الشهير
بيرلوني وعلى الكولونيل مارشال بطل حادثة فاشوده والكتب أرنست
خودية وغيرهم وغيرهم من ذوي المكانة والحيشية

ولعلنا نهم ماداً تكون الدعوية ، يدا تأمس في التقلمة التي
قدمت بها حريدة الإكلير الفرنسية الشهيرة الحديث مصطفى
كامل معها في ٩ سبتمبر سنة ١٨٩٥ . قالت الجريدة .

« ورد علينا في الأسبوع الماضي لتعرف من الإسكندرية
بمبدأ وزارة المعارف في مصر . قررت إعلاء البعثة المصرية
في فرنسا . وما كان هذا اقرر مساس عظيم بنشود في مصر .
فقد رأينا من المميدان بقصد من أحبه إلى مصطفى كامل وهو
الكاتب ، والخطيب المصري الذي اشتهر اسمه في باريس
لأن آراءه في مثل هذه المسألة يعول عليها » .

فالجريدة ، لم تقصد مصطفى كامل تشجيعاً له ، ولكن
للانتناع بصوته وقلمه في مسألة هم فرنسا ، ونضايق إنجترا .
وهذه المسألة الصغيرة ، ليست إلا أنموذجاً لكل مسألة أخرى
كبيرة هم السياسة والساسة .

فمصطفى كامل . كما كتب لأخيه المرحوم على مهى كامل

في مايو سنة ١٨٩٥ . كان يقضي ليه وهاره في محاطة كبار
السياسيين لأستع منهم خدمة مصر الخوية ولحمد لله قد
تشرفت بمعرفة الكثيرين ورأيت من اجمع استعداد لمعوتنا
وتحريرك المسألة المصرية . وطرحتها على بساط المرافعة من جديد
وقد حارب كثيرون بعد مصطفى كامل أن يروا إلى ميدان
الدعاية السياسية المصرية . أو أن يتكسبوا فيها . ثم فتح هذا الباب
على مصر عية . حينما وقعت كرتة فلسطين . وحسن العرب ،
لجحتهم إلى تنظيم الدعاية . في أمريكا وأوروبا . وشجعت سلاحها
وتجميع العاملين في ميدانها ونسبوا جهاد يهم . وكان مصطفى
كامل دائماً . مثلاً شجعه إليه الدرسون وينشدون . بأنظرهم .
لعمم السجاح الذي حققه . ولكن كان يعيب عن الدرسين .
وراعيين في التمهيد . لأمر رئيسية في أشد إياها . فيما تقدم
وأمر أخرى لا بد منها للسجاح الداعية

وأول هذه الأمور بلا مرء هي شجرة . مصطفى كامل
كان يسافر كل سنة إلى جميع عوصم أوروبا . وفي أكثرها .
أو في باريس على الأقل . فكان رصيده من المصداقات
والمعارف ومن الاتصالات . يرد ديوماً بعد يوم . وستة بعد ستة .
فكان من اليسور عليه . كلما وقعت أزمة . أن يتخذ لمحبيه
وعاصفين ومؤيدين . هم تكن دعته دعوة موحية . تقع حينئذ تمر

بالبلاذ ، محنة ثم تنقطع .

وثاني هذه الأمور أنها كانت ثمرة الاتصاف الشخصي ،
بعد تحرر المصلحة المدافعة للدولة التي يدعو فيها ، أو السياسي
الذي يستعين به . فلم تكن وسيلته الوحيدة . اما المبدون . ولم
يكن أعوان مصطفى كامل أحرار يدفع هم المال . لشراء أرقامهم
أو ذممهم . بل كانوا من أصحاب العقد الذين تلاقى مصلحة
بلادهم أو أحرارهم مع مصلحة مصر . ومع حلاء الإنجليز عنها .
وثالث هذه الأمور ، هي أن الدعوة التي كان يقوم بها
مصطفى عامية ، فلا تعتمد أبداً على الفرنسيين دون الألمان أو
الطلاب أو الأتراك أو حتى الإنجليز ولذلك كانت القصيدة
المصرية ، دولية بحق . فقد شغل بها كل محفل دولي ، وعرفها
نواب ألمان وروس ويطليد . وتحمس لها كتب ومكرون من
كل جنسية .

ورابع هذه الأمور ، أن الأمر لم يكن دعوة صرفه ، فقد
كان لنشاط مصطفى كامل الدحي ، وتنظيمه الحجة الوطنية ،
وإنشائه جريدة اللواء ، ومجلات الأحرار الأسبوعية والشهرية ،
ودفع الحركة التعليمية ، والدعوة إلى إنشاء الصناعة ، وتبوير
الرأي العام الوطني ، وتجميع الشبان المثقفين حوله . . كان
لكل ذلك أثر في رفع قدر دعوة مصطفى كامل في الخارج ،

فقد كان إحساس ربح السياسة . والمحور الدوائية . أن هذه الدعوة ، هي دعوة حركة قوية إيجابية . تسود وترددها ، في وادي النيل وأن مصطفى كامل هو لها المعبر عنها . فالاحتفاء به والإقبال عليه ، هو كسب دولي .

ولكن مصطفى كامل لم يكن يقتصر دعوته على مجرد الخطابة ، بل كان يستمتع بالتحولات الدوائية . في خدمة بلاده ، ومن هذه الأمثلة . انتاعه بالشفاه بين الاستعماريين الفرنسي والإنجليزي على استعمار أفريقيا . والتوسع في بسط النفوذ على مجتمعاتها . فقد كان يرحو أن يؤدي هذا الشفاه إلى الاصطدام بينهما اصطداماً يؤدي إلى إحلاء الإنجليز عن السودان . وقد حدث هذا التصادم بالفعل في سنة ١٨٩٨ عند فاشودة ، وكادت القوات الفرنسية بقيادة الكورنيل مارشال . تصطدم بالقوات الإنجليزية بقيادة كيتشر أن تتلاحما . ولكن فرنسا كعادتها . وكلما انتفت مع إنجليزها ، خصوصاً . بعد هزيمة نابليون في واتراو لا تلبث أن تحي رأسها وتنسحب . ولم يتأخر مصطفى كامل في أن يبدي ألمه وحيبة ألمه في السياسة الفرنسية عند أقرب الناس إليه من الفرنسيين - كمدام حوليت آدم - كلما قصت المأساة فقد كتب يقول لها من فيينا في ٢٠ مارس سنة ١٨٩٧ .

« إن الإنجليز يعملون في وادي النيل كل ما يريدون .

ويرتكبون أفعاع الحرم على الإنسانية واعدل . ويسخروا أكثر
 سخرة من أوروبا وعلى الخصوص من فرنسا لأن حصّة فرنسا في
 هذه الأرواح لأخيرة قد دفعت بلا حساب لإيجير إلى صمما
 طمناً أشد مما كان . ونرى راد نصير منه أن هذه الحصّة التي
 كنها فشل وحيمة قد أصعبت عريمه أشد ما س حناً لهدكم
 الحميل الكريم وفي الواقع أن سياسة فرنسا تظهر تظهر من
 يريد كل شيء ولا شيء .

وقد ه في حضاب آخر من بودا بست . في ٢٨ يولية سنة

« اعتقدت في بدا دهشت كل عام في باريس والأثار
 أنت الوحيدة التي تمثل أمام عيني فرنسا القديمة . فرنسا
 صمة والإهدم . إن السياسة الأوروبية تنعص إلى مكل
 حورحي لمديه الحديثه ولكن لسياسة الفرنسية تعكس
 أمري وتحعني دهلا أمام التناقص العريب المستور في
 تاريخها . عجباً نسبت فرنسا فشودة »

« إن سياسة الحكومة الفرنسية لم تعدل عملاً واحداً يجعلني آملاً
 فيها . إنك كنت تدكرين في مرشد . في خطك ولا بد أن
 يتألم الآن أشد الألم من سياسة فرنسية وماذا عسى أن يقول عن
 البوير »

« إن اعتقادي لخصوصي أنه سيصب لأوروبا في الصيد
شراكاً . سدم عنيها بكل تحسر . فقد حرب مذنب في
سياستها بالشرق الأقصى . وقد نرصد لندى سيث به أوروبا
هو رعتي في امتلاك كل شيء في نوحود سيعود عليها ما نوب .
وإن لأبناء تحدثا يوم لا أحد لأوروني في الضيق .
ولارتباط الوثيق بين القوي لأورونية . فبها من عار ؟ أم كد
يسعى أن يكون هد لا تحد وهذه برصة في منتهى ترسده .
فأين شرف أوروبا من تحادها وشبهها ؟ فاه حصن وانسبها
ووجله أمام إنجلترا ؟ »

ولما انتهت إنجلترا مع فرنسا على تقسيم شأن أفريقيا بينهما
في سنة ١٩٠٤ كتبت لها تقول في ١٥ أبريل سنة ١٩٠٤
« أساء إليا مسيو ديلاكسيه (وزير خارجية فرنسا) كثيراً
باتفاقه لإلحاحيري لفرنسي لأن تعهد فرنسا بعد مصحتها بخلاء
دفن المسألة وحكم عليها من قبلكم وقد كنت من مسيو
موتور جويل رأني ليسرته كحدث عني بعد لمرر فإذا كان قد
شره فأرجو منك أن تنقني إليه نصر ترديد . وروشور ودوديه
وجميع أصدقائك لأنني أريد أن يذهب الفرنسيون على التأثير الذي
أحدثه عندنا هذا لاندق . »

وكتبت إليها تقول في ١٠ مايو سنة ١٩٠٤

« إن موطنى بكرهون اليوم فرنسا ، أكثر من أنكرت نفسها . . . إنك لا تدريين مبيع تشامخ الإنجليز فى الوقت الحاضر فإنهم يسحرون منا نحن صعد لأحلام السنين اعتمدنا على فرنسا . وهم الحق أن يسحروا »
 وكتب إلم' يتوفى ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٦ :
 « إني أنكب محمداً من الشعور إذا استندت لحظه أن فرنسا
 تصبح صديقة مصر وإسلام »

عليست صدقه مصطفى كامل لإحدى الدول ، هى هاء فى هذه الدولة . ولا تسليماً بخصتها . ودفعاً عن سقطتها ، ولا سيرة فى ركها . إنما هى توحيه لسانها وانتفاع بمركرها ، وخلافاتها وحروها . مع إنجلترا . ولذا فى رسم سياسة مدعابة كان عملاً شاقاً . يحتاج إلى فهم عميق متجدد يبعث السياسة ، وحوورها صاهرة ولحمية وكان يحتاج فوق ذلك كله إلى خبرة فى استحدثت سياسة وانكربين . وتمكين كبرى بهم وتبصيرهم بالأصرار التى تعود عليهم وعلى بلادهم ، فيما أو أهموا مصلحة مصر . ونجيبوها أو ضحوا بها . وفى السطور التى نقلتها لك من خط بات مصطفى كامل إلى مدم حوليت ترى حاضته بالسياسة العامة . لا بالسياسة الأوربية وحدها .

وليس أدل على انتفاع مصطفى كامل بالخلافات الدولية فى

تحضير دعايته من الفقرة التالية من حصص مؤرخ ٢٨ مارس
 سنة ١٨٩٧ عند زيارة له في النمسا :
 رأيت القوم في اسما ابتدأوا يلركون أن الإنجيز كانوا
 يستعملوهم زمناً طويلاً . . . ! »

أخى المواطن :

من بلاد الاحتلال على الأمم . أنه يصمم معالم تاريخها
في نفوس أبنائها . فلا يعودون يعرفون ماذا كانوا في ماضيهم
القريب أو البعيد . ثم يصيبهم النرجس ويتحدون فلا يهتدون
في تعرف حقائق هذا التاريخ . وبدلك يصحون فرس سهلة
هينة . للأكديب التي يشيعها الاحتلال ، فيأخذونها مأخذ
الصدق . ويمدوونها تدوير اوقائع التي لا يأتونها أصل من بين
يديها أو من حتمها

ومن بين ما حارب به الاحتلال مصصقي كمال . الثورية
التي رست في أدهم العاص وهي أن مصطفي كمال لم يكن
يريد الاستقلال في ذاته لمصر . وإنما كان يريد بها الاستقلال
فقط عن إيجاز . لا تتحرر . وتطلق إرادتها . وتتسوى
بغيره من الأمم والنسوة التي استقلت ، بل لتكون تبعاً لتركيا ،
فتبسط عليه حربه الخليفة التركي ، وتصبح إيلة من إيلالاته .
ومن يقولون هذا مؤول . أقوام يصق عليهم . ما قدمته

لك من أن أساء الأمم لمحمد . يتسبون الأكاذيب ويتحرعونها
 كأنها شرب سماع ويخونها لأبائهم من الخلق لمعهه اني
 يحتاج الكشف عنها ، إلى مجهود ومشقة . فهم بالاحداث جهال
 كسلى . لم تمتد أيديهم إلى تزيح مصصى كمن . ولم
 يقرأوا حرفاً واحداً من مقالاته أو حصه . وأحدثه ورسلته .
 أو مذكرته وكسه . أو شروحه المستنبضة . ودرسه العبدية
 وهم يجهلون لأحداث النبوة التي أحضت بالاحداث
 الريضى . في سنة ١٨٨٢ ومن خير أن ينقص هذا . عمار
 النسيان عن عقول أخواننا .

وقع لاحتلال الريضى . وعلاقة مصر بتركيا . محكومة
 بقرميين (أى مرسومين عنيين) أحدهما صدر في سنة ١٨٤٠
 على أن تحريات عهد محمد على وأثنى صدر في عهد الخديو
 إسماعيل . وحلاصه هذين التمرين أن والى مصر . كانت
 تعبته حكومة إستادوب . من أكبر أفراد أسرة محمد على .
 تم عدل ذلك فأصحت ولا به العهد لأكثر أولاد الوالى أو
 الخديو . وقد كانت سلطه الخديو فى الترقية فى الجيش لا تتجاوز
 رتبة الأمير لاي . أم . ما يعنو هذه الرتبة فيصدر الأمر به من
 سلطان تركيا .

وبذلك كانت مصر فى الظاهر فى حكم الولاية بالسببه

لتركيا ، ولكنها في الواقع كانت دولة مستقلة وإن لم يكن استقلالها ثابتاً بوثيقة ، ولكنه كان استقلالاً في الواقع ، بسبب تزايد قوة مصر ، وتناقص قوة تركيا ، أو تزايد ضعفها .

وما أرادت بريطانيا ، أن تحتل مصر ، كان مما يحرجها دولياً ، أن مصر تابعة رسمياً لتركيا . ولذلك كان من الواجب ، أن تحتاط في كل ما تفعل . حتى لا يسر تصرفها في مصر ، مساساً بحقوق تركيا . لأن ذلك كان يمكن أن يؤدي إلى نزاع دولي وقد يؤدي إلى نشوب حرب . لو أرادت إحدى الدول الكبرى المدفوعة لبريطانيا أن تستغل هذه النزاع ، وأن تثير بسببه قتالاً .

ومن يقرأ ماذا كان يحدث في استانبول قبيل احتلال الإنجليز لمصر . يرى كيف كانت بريطانيا تسير بسبب تبعية مصر لتركيا . على ما يشه الخيل كما يسير السهلوان المارح . كان على بريطانيا أن تضمن الدول أنها لا تريد الانفراد بالعمل في مصر . وأنها لا تبغي لاستئثارها . وأنها لا تشكر في المساس بسلطة تركيا عليها . ولذلك ما كادت الأساطيل البريطانية تصل إلى مياه الإسكندرية حتى أسرع اللورد حربنغل وزير خارجية بريطانيا إلى إحضار الدول بأن « الحكومة البريطانية لم تشكر قط في أن تنزل إلى البر حنوداً ولا أن تحتل

البلاد احتلالاً عسكرياً. وفي عزم حكومة حلاله للملكة . متى
 أعيدت السكينة إلى مصر . وراى الخوف على مستقبلها أن تترك
 مصر وشأنها . وتسحب سبها الحربية فبد وقع عكس ما نرجو .
 بأن نعدر حل المسألة حالا سديا وإياها تتفق مع الدول ومع تركيا
 على ما تكون قد رآته والحكومة الفرنسية أنجح الوسائل
 ولكن حكومة فرنسا استرايت مع ذلك في نونا إنجلتر .
 ورأت أنها تود الانفراد بالعمل . فدعت إلى مؤتمر يعقد في
 إستامبول عاصمة تركيا . بوصفها صاحبة أولايه على مصر .
 وليت بريطانيا الدعوة إلى المؤتمر . ورجبت في الحرب شكرته .
 بل تظاهرت بالحماسة في ودعت الدول إلى مناصرتها . لأنها
 كانت تعلم أن المؤتمر إذا عقد فسيصم دولا بلا إرادة ولا سياسة
 مرسومة ومن هنا يصح عطاء لها ولأولايها . وحسراً نصل غيبه إلى
 أعرضها وأطماعها ، فسلك لم تر أن نجهر برقص شكيرة بل
 قببتها وعمت على عرقلة المؤتمر سرّاً . ومن ثم فترحت على فرنسا . أن
 تطلب من سلطان تركيا إرسال جنوده إلى مصر . لخطط النظام .
 وكانت بريطانيا تهدف من هذا الاقتراح إلى أن تقلل فرنسا هذه
 لفكرة فتعدم الحاجة إلى مؤتمر . ما دامت تركيا صاحبة السيادة
 قد أحدثت الأمر على عاتقها . واستعدت لخطط النظام في
 مصر . ولكن المؤتمر انعقد في ٢٣ يوبه . أي قبل ضرب

الإسكندرية في ١١ يولييه بسبعة عشر يوماً .

وقد رفضت تركيا أن تشارك في هذا المؤتمر ، فعقد في السفارة الإيطالية وفي جلسته الثانية التي انعقدت في ٢٥ يونيه وقع ميثاق الرحمة . ووقعته بريطانيا كغيرها من أعضائه ، وقد جرى نصه كالآتي :

« تتعهد الحكومات التي يمثلها الموقعون على هذا الميثاق في كل تسوية بقتضيه العمل مشتركاً لتسليم شؤون مصر لا تسعى إلى متلاك شيء من أراضيها ولا إلى أي إذن بأي امتياز خاص ولا إلى أي وثيقة تجارية لرعاياها إلا ما كان عاماً يمكن أن تناله أية أمة أخرى »

وفي هذه الأثناء حوت تركيا أن تصرف الدول عن استمرار انعقاد مؤتمر نخجه أن يحل في مصر قد حدثت ، وثورة وراعى راسخاً قد تمت بعد أن بقيت مصر . أيماً بلا ورة . ومالت إيطاليا إلى هذا الرأي . لأنها كانت متأثرة بألمانيا ونمسايتين كانتا عملاً صاعداً وإنجلترا أما روسيا فقد قام وزير خارجيتها المنيو في حيدر إيد ، اقتضت الضرورة ، التدخل . لعدم كفاية التأثير لأن في حل الأزمة المصرية فتركيا حق الدول بإعادة المياد إلى محاريب في مصر . فإن تب تركيا . فقد يعهد بالأمر إلى إنجلترا وفرنسا على شرطه أن يرافق

حيوشهم، مندوبون من قبل جميع الدول لأخرى .
 وكانت إنجلترا طوب هذا الوقت وبعده . نصف الحاله
 في مصر . بصورة تشعر بأن ثورة فيها ليست وطنية . إنما هي
 حركة تعصب ديني أحق . وأن الأخاب يتشون وتعرض رواحهم
 وأموالهم للأذى . ليسر في الأمر بالعدل في مصر .
 ولست تصديق لورد دورين مندوب إنجلترا في مؤتمر حينما
 اقترحت إيطاليا اقتراحاً بضمه . بمعنى أن يكون معمولاً أنه ليس
 لأية دولة أن تقوم بحسن تردى في مصر مادام مؤتمر معقداً
 وما زال المورد دورين بمؤتمر حتى أضاف إلى هذا الاقتراح عبيره
 « ما م تقتضي الظروف تدهرة غير ذلك »

وأحدثت إنجلترا ، بذكر فوضاً محتملة لظروف تدهرة التي
 تسمح باندخال تردى . حتى أحسب الدول لأخرى بأن
 إنجلترا تنوى هذا اندخال التردى فمرر مؤتمر أن هذا اندخال
 يجوز لتركيا وحدها .

في ظل هذه الظروف المتواليه وقع الاحتلال البريطاني .
 ومن بين هذه الظروف يتضح كم كان لبور تركب من لأهمية
 الدولية . وكم كانت لمرص مساحه خا . لأن تجمع الاحتلال .
 وأن نسد الباب في وجهه يمنع ولكم لم تمنع . وكان على
 مصطفى كمال . وقد آلت إليه هذه التركة بثمنه من أعداء

الماضي . وتخصير السف . أن يبنى سياسته على حقائق حياة أمته ، وحقائق السياسة الدولية .

لم تستطع بريطانيا حينها حثت مصر . أن تعلن أنها تتحد إزاء دثماً . لأنها أقدمت على ذلك الاحتلال ، وهي تشعر أنها حانت العهد الذي قطعتة على نفسها في مؤتمر سراية ، وأنها عسرت بالبول التي شتركت في هذا المؤتمر ، وبذلك أعلنت على لسان وزير خارجيتها ، ومسودها النورد دوفرين ، أن الاحتلال إزاء مؤقت وكان من أكر الأمور ضعفاً على بريطانيا من ناحية الدولية . تنعية مصر في ذلك الحين لتركيا . ولم تكن بريطانيا تود أن تشكر لتركيا أو تدخل معها في حرب . ولذلك لم تتحد هذه التنعية . ولم تعمل شيئاً من الناحية الرسمية أو من الناحية الدولية بخلاف مقتضاها ، أو يمس بها مساساً حوهرياً . وبذلك كان مركز بريطانيا في مصر قوياً عدية القوة من الناحية الفعلية . لأنه مستند على جيش احتلال قوى ، في أمة حرد أيدؤها من السلاح وسرح جيشها . وأغلقت أبواب مصدعها الخربية . ولكن مركز بريطانيا في مصر ، كان في الوقت نفسه ، عدية في الضعف . من الناحية الشرعية الدولية ، لأنها اعتصمت مصر اعتصامياً . والقانون الدولي يعرف أنواناً من الاعتصاب ويقرها : يعرف الحماية ، ويعرف تنعية

المستعمرات للدول المستعمرة ، ويعرف الإلحاق ، ولكن بريطانيا لم تستطع أن تسمى وجودها المادى فى مصر ، بشئ من هذا .
لم تستطع أن تسمى وجودها حماية . لأن هذه الحماية تتعارض مع حقوق تركيب الرسمية التى لا قيمة لها من الناحية العملية ، ولكن كانت مع ذلك دقية على الورق ومعزفاً بها بين الأمم ، ولم تستطع أن تسمى مصر مستعمرة لأن ذلك أمعن فى إنكار سيادة تركيا وحمية ابرشية

ولسنا نحن الذين نقول ذلك فإن اللورد لوبيد فى ص ١٩٢ من كتابه « مصر منذ عهد كرومر » يقول وهو يتحدث عن إعلان إنحترام الحرب على تركيا فى الحرب العالمية الأولى انى وقعت فى أغسطس سنة ١٩١٤
« كان يجب مواجهة أحصر وأصعب مشكلة فى وقت قريب وتلك هى مشكلة تحديد مركز مصر ، حينما تعلن الحرب ضد تركيا »
وقد يكون من المفيد أن نذكر باختصار الحقائق العامة الرئيسية ، فيما يتعلق بمركزها فى مصر ، كما كان فعلاً فى تلك الآونة »

« لقد كان مركزنا عامة فى قوة من لئاحية العملية ، وعادة
فى الصعف من الناحية اشرعية »

« من الساحة الفعلية كان مركزنا يستند إلى احتلال الجيش
 « البريطاني . وهذا الجيش نغزر في فترة الحرب بالقوت »
 « الإمبراطورية مختلفة ، التي كانت لازمة لمواجهة خطر »
 « عرو مصر من الخارج »
 « وفي فترة الحرب رد بنود على رباته شدة بسيصرتنا »
 « على البحر في كدت تعين على عرب مصر من الخارج »
 « تدماً إذ أردت . هذه الحقائق جعلت من حقاً أن يسمع »
 « رأي في توجيه الأمور في مصر ، فقد ستمد موضوعاً »
 « وثمانوناً من وجود لاحتلال بريصني سيادة كدية . »
 « ثم مركز من الساحة لشرعية فكان مفعلاً تماماً لهذا »
 « المركز لعملي لقوى . من الساحة الدستورية كان الحاكم »
 « لمصر هو الخديو . وكان مجلس وزراء هو صاحبه »
 « ومستشاره ، ولم يكن لقنصل بريطانيا وجود دستوري و »
 « حقوق نشئة عن أية معاهدة أو اتفاقية أبرمت بين »
 « البلدين . مصر وإحتلالاً ولم يكن الموطعون انبريطانيون »
 « بالحكومة المصرية من ساحة قانونية أكثر من مرهوسين »
 « ووابع للخديو . ولم يكن من قيد شرعي على سلطة »
 « الخديو . سوى قيد واحد معترف به ديبياً . ذلك هو »
 « السيدة العليا لسلطان تركيا ، فمصر من الساحة القانونية »

« انفسية كنت ولايه ستمانية وكان احدى يتلقى الميث بأمر »
 « من السلطان الذي يعترف هو لعضته »

فأى سياسى يجاء هذه الناحية الضعيفة في الاحتلال
 البريطاني . أو هذه الثغرة المكشوفة . ولا ينفذ منها إلى مقتل فيه .
 لا يعنى عنها إلا الله . ولم يكن مصطفي كامل هذا لأنه
 من كان سياسياً حاداً عدياً لحديث . بدراً عدياً لمرأته . وبسبب
 أحسن استعمال هذه الورقة حذرة . في حيلة السياسة . وبأنه
 وكان يخرج برصاً بها . في حظه وفي اتحاديه ولم تكن
 بريطانيا تستطيع أن تنكر أن وجودها غير شرعى وكانت أقصى
 ما تمكنه في أن تقرب أنها استحلوا حلالاً .

ومن هنا تعددت وعود بريطانيا بالحلاء فصحت أكثر من
 ٦٥ وعداً ، وقدرت أن تكون سبعين وعداً ، حلال سبعين وعداً
 أى بواقع العام الواحد وعد .

والذين يزعمون أن مصطفي كان يدعو لتسمية مصر التركياً .
 هم كما قلت جاهلون ، وكاذبون .

جاهلون بهذا التاريخ الذي سمعت لك طرفاً منه . وكاذبون
 لأن مصطفي كان من أولي وعقل ، عكس هذا الذي يعزرون به
 عليه .

نجد مثلاً ما جاء في خطاب مبكر أرسله إلى مدام حوثيت

آدم في ١٢ يولييه سنة ١٨٩٧ وهو في مطالع حياته السياسية :
 إنك تعلمين خطتي نحو تركيا ، وما أراه واحباً نحوها ،
 فقد أفصحت عن ذلك في خطتي . وقد اعترف كثير من
 أصدقائنا اليونانيين بأنه من السياسة الوطنية لمصر ، أن نكون مع
 تركيا ، بما أن الإنجليز يحتلون وطسا العزيز .

فانظر أولاً ما دام الإنجليز يحتلون وطسا العزيز « وانظر
 أيضاً » أن نكون مع تركيا .

فالأولى تدل على أن سياسته مؤقتة . ومعقفة على وجود
 الإنجليز في مصر . فهي لا تمتد إلى ما بعد جلائهم عنها .
 والثانية . تدل على أن كل ما نعمله مصر . هي أن تكون
 مع تركيا في معسكر واحد . وهو ما يقع بين الدول المستقلة ،
 وهذا ما قاله مصطفى كامل تقريباً بالحرف الواحد في خطبته
 التي ألقاها في الإسكندرية في يوم ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧ أي
 قبل وثنه بأقل من ثلاثة شهور

رمادا اصاعون أيضاً أننا نريد أن نخرج للإنجليز في مصر
 لعصها لتركيا كولاية عادية . أي أننا نريد تعبير الحاكمين
 لاطلب الاستقلال والحكم الذاتي .

وما هذه المهمة إلا تصريح بأن عاوم الغرب وآدابه التي نقت
 إلى مصر من مدة قرن من الزمان ما رادتنا إلا تمسكاً بالعبودية ...

« وهذه المهمة هي مسنة للمدية وللمتدينين .

« فليعلم أعداء مصر أنها تصب في الاستقلال وتطلب لها ذلك

« الاستقلال بأعنى صوت وعنى مسمع من أمم الأرض كلها .

« وإذا إذا أخلصه لود لأمة أولدولة فربما يعمل كغيره فتبع

« ناموس لطبيعة القاصي بأن من انتفت مصالحهم يهتمعون

« ويصرون وإذا كانت إحترا تسعى للتغلب من لدولة املية

« تركيا » وتغير سياستها بحولها تغيير محسوساً . فمن ادى يوم

« المصريين على أن يكونوا أقرب الناس من تركيا قولاً وفعلاً وأن

« يحفظوا على هذه الصلة ما استطاعوا »

فإذا يقول الكسبي المحفلون وقد وضعنا تحت نحرهم هذين

المصير اللذين يحددان حياة مصطفى كامل السياسية . أحدهما

صبر منه وهو في أسن المبكرة هذه الحياة القصيرة . وثانيهما

كان نختاماً لهذه الحياة ؟ ؟

نحي المواطن:

ماد كان يحدث لو لم يهاجر فريد من مصر إلى تركيا في
 ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ . هذا سؤال صعب . لم يعرضه أحد من
 المؤرخين على بساط بحث . لأن فرضه . عت لا صائل
 تحته ، وإحق أنه عت . لأن فريداً قـ . هاجر فعلاً . فتصور
 عدم هجرته . هو أمر تدخل في نطاق الأدب . منه في نطاق
 العلم والتاريخ المحقق .

وكن افترض هذا فرض . مع ذلك يفيد المؤرخ . لأنه
 يعينه على دراسة تاريخ الحقبة الواقعة بعد سنة ١٩١٢ في ضوء
 أكبر . إن هذا سؤال . يأخذ بيد الباحثين إلى تحديد أكثر
 كلاً وعدلاً . لسور محمد فريد في تاريخ مصر
 لقد درجت على القول بأن مصطفى كامل في تاريخ مصر
 أوصى وسياسي الحديث هو كسور انقصار في القرآن ، وفي
 تاريخ الإسلام . أما محمد فريد . فكأنسور الطول في كتاب
 لله العزيز . وتزيد في أيام افتتاعاً بهذا التشبيه .

مصطفى كامل . كان كالشهاب الخاضع . قصير العمر
بدأ كفاحه الوطني شاباً . ومات في ريعان شباب . وكان دوره
الدعوة . في شمول معهما . وفي مستويها لعممه المنصفة كان
آداباً . ونشيراً . ورياضاً وإهانة . كان كلامه حاراً . له صانع
شعر . وفيه وزن الموسيقى وجمال إيقاعها .

فلما لحق بالرفيق الأعلى ، وآلت الزعامة في محمد فريد
لم تعد الأمة في حاجة إلى من يدعوها . فقد استجابت لدعوة
مصطفى كامل . وعبرت عن هذه الاستجابة مرراً . استجابت
له حينما نقد حكم ديشوي . واستجابت له حينما حاربت تشيع
حماته هو . في هجوم لم يشهد التاريخ المصري الحديث مثل
حشداتها لحادث سياسي من قبل . إذن وقعت الأمة على
قدميها . ووقفت أمام الاحتلال وجهاً ووجه . فلم يعد للاحتلال
ممر من أن يختار أحد أمرين . إما أن يمسح هذا الطريق .
لتعليه عن أمره . وتنفذ به من سماء قوته وإما أن يخلفها .
ويكتم أنفاسها .

وقد تربت الاحتلال في حبش السامر بحركة الوطنية .
لأن تقيد الاحتلال البريطاني في كل مكان هو أن يصعد نفسه
ما دم الأمر . مقدوراً عليه . عبر عطف . فإن أس من حارب
الوطنية . قوة . تجاوز هو . كل حد . ولجأ إلى كل سلاح .

وبطش بكل قضية ، ودرس كل قانون . فأيبدو عن أسوأ
 الاحتلال البريطاني من ميل إلى المسألة ، وأحد للمسائل برفق ،
 وعلاج للمشاكل - هدوء مرده أن حظ بريطانيا ساقطها إلى أمم
 كانت الكورث ولصائب قد حثت رحاها وأفقدتهم الميل إلى
 النضال ، وهذا استعادت هذه الأمم عريضة القتال وقاومت ، نزل
 بها العذاب أوروباً .

ولم يترك مصطفى كامل مصر . إلا بعد أن عاد إليها حب
 القتال ، واستيقظت فيها عريضة النضال . فكان عن - محمد فريد
 أن يقودها في هذه المعركة الشاقة المرهقة فكان كفاء لهذه
 المهمة . بل لعله تعجل المعركة قليلاً . قبل أوانها ، تحرقاً لمازله
 الأعداء .

لقد حرحت الحركة الوطنية ، من حشرات دار اسواء حيث
 كانت مقالات الوطنية تكتب إلى مجال الشعب العام . إلى
 الشوارع . . .

وقد بدأ هذا التخرج بسيطاً . ولكنه وصل إلى غايته سريعاً ،
 وكانت البداية في ٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ . يوم احتفال الجيش
 البريطاني في مصر ، بعيد الإمبراطورية . فقد هتف طلبة مدرسة
 الحقوق المجاورة لميدان عابدين . مكان العرض العسكري المقام
 طرده المدرسة .

هتف لشعب . ما أعرب ذلك وما أعجب ! .

فإن هذا الشعب كان دوره قاصراً على أن يقرأ المظاهرات
ويسمع الخطب . ولم يكن يصدر عنه شيء . فما الذي أنطقه ،
ثم ما الذي جعل أول ما نطق به تحدياً للجيش الاحتلال نفسه ،
وفي يوم الاحتفال بعيد الإمبراطورية . ؟ ؟

كانت الحركة الوطنية . قد جاشت ، ووصلت إلى حافة
الانفجار في يوم وفاة مصطفى كامل . وكان تدفق جموعها
إيداناً . بأن الانفجار الداخلي أصبح تعبيراً خارجياً . .

ولكن هذا التعبير الخارجي الذي بدأ باحتفال يوم ٨ نوفمبر
سنة ١٩٠٨ استجاب في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٩ . إلى صدام مع
قوة لاحتلال مثله في النوايس المصرية الذي كان يرأسه ويشرف
عليه ويديره حكامار بريطاني .

وقع الصدام من أجل الأداه التي تعبر بها الحركة عن نفسها
أعني الصحافة .

ذلك لأن وزارة بطرس على التي ضمت سعد رعلوب وحسين
رشدي ومحمد سعيد . أصدرت في ٢٥ مارس قراراً بعودة العمل
بقانون المطبوعات الذي أصدرته حكومه الثورة العربية لاعتبرت
الثورة القائمة وقتئذ . فاعتقدت لجنة الحرب الوصي الإدارية
برئاسة محمد فريد . واستكرت بعودة لعمل بهذا القانون .

وستحاب الشعب فوراً هذا التوجيه فاجتمع في حديقة
الجريدة آلاف من ضمه مدرس لعليا والتجار والعمال وسارو
في مظاهرة حافلة حتى ميدان لأوبرا . .

وفي يوم الأربعاء ٣١ مارس تحدثت المظاهرات وخرج
من صفوف المتظاهرين حذاء الشعب . هؤلاء الخطباء الذين
يعرفون كيف يهوب الحشود بعدرتهم حماسية نتي يتموها .
وهم معشوق على أفرع الأشجار أو يحملون على أعناق رملاء .
وحد الشعب إذن أدته بتعبير . كما وحد من قبل أهل
بيوت وأحباب المكاتب . وسببتهم هذا التعبير . وهي لصحيفة .
وحديث المنتديات .

ولكن كيف حدث هذا التطور ؟ .

حدث لأن محمد فريد اتجه إلى شعب . وقد ربط نفسه
بها احيط المسيح حينما جعل أساس سياسته . هو موجهة
مشاكل شعب . ومحاولة حلها .

فأنشأ مدارس لشعب . وأنشئت أول مدرسة من هذا النوع
في حي بولاق . وأنتى أول درس فيها . المرحوم الأستاذ أحمد
لصبي . في موضوع (شؤون اجتماعية) ! وإني لأرجو أن تقف
أمام هذا الموضوع . وأن تتأمل عنيوه . لأنه ذو دلالة كبرى .
في الحديث في الشؤون الاجتماعية . الذي هو طابع أيامنا هذه

كان أمراً بدر وقوع في أيام محمد فريد .
 والتأمل في برنامج هذه المدارس - يريد الإنسان فهماً لعقبيه
 محمد فريد . والحرب موصى في هذه الخطة . فقد كان لبرنامج
 يتناول لشؤون الاجتماعية . وقد تولى صحة وصحة الوقاية
 ورعاية الطفولة . ولقوبل انتصه بالحياة اليومية . وتاريخ مصر
 والتاريخ الإسلامي .

فقد درس الشعب من ذلك التاريخ المنفذ حاولت أن نشر
 ثقافة سياسية والثقافة الاجتماعية بين أفراد الشعب . لتأهيلهم
 لنهضة فصيحة الوطنية . وعبادة حركات الشعبية من فهم ودراسة
 وبصيرة .

وكان طبعياً أن يفتتح محمد فريد . وهو صاحب هذه
 الرغبات الاجتماعية الأصيلة إلى ضاحين بلدين بحق - كل
 حركة شعبية في عالم . وهما التلاحق والعدل فأحسن نفعه
 العمال من كافة الصناعات والخصومات التي كان يعمل في سير
 مصر قهراً طمروها - فكتب في حريته السيل بيور مقلاً قال
 فيه في يولية سنة ١٩٠٨ .

« إن الآ لا يوجد تمصر فوريين خاصة حماية العمال .
 ولا قوانين تحدد سنهم ولا عدد الساعات التي يجب أن يقضوها
 في العمل . فتجد العمال مثني لكونهم بلا رحمة خصوصاً في

معدل الدخول ومعامل حلق القطر حيث يشتغل العمال الأطلقال
ذكوراً وأدناً في وسط من أردأ الأوساط من الوجهة الصحية
والأدبية .

ولكى تستصيع أن تعرف مقدار تقدم عقل محمد فريد ،
وسقته لمعصره . أقول لك في أستطيع أن أتحدثي مهدوه
وصدمات أن كلمة كهده عن العمال . لم ترد على لسان أى رعيم
حزب سياسى آخر من الأحزاب التقليدية بعد محمد فريد حتى
كان ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢ - فالحدث عن اعمال ، وعن
تشريعاهم ومصايبه بصمات مستقبلهم . واتحسنين الحلة التى
يعملون فى صلبها . أمر كان عربياً غاية العراية . عن العقيدة
السياسية المصرية . وقد طبعت جميع محولات محمد فريد وجهوده
السياسية بهذا الطابع الشعبى .

فهو لم يرد مثلاً أن تكون المصايلة بالدستور . عملاً يقوم به
الخاصة فطبع عشرت الأروف من العرائض تتضمن كلها
المطالبة بالدستور ، ووزعها أعضاء لحزب الوطنى ، على الشعب
ليوقعوها ، ويؤيدها عشرت حملة لعرائض هذه المكورة
الدستورية . فى أوسع نطاق . فبات الشعور العام فى هذا
الاتجاه . وزادت من إحساس السلطات عمومياً مصرية ،
وأجنبية بضغطة الشعب .

لم يكن ممكناً . وفريد هد أسلوبه وطاعه . أن يبقى على
أية علاقة بالحديو .

صحيح أن العلاقات بين مصطفى كامل والحديو ، كدت
قد فترت بينهما قبل وفاة مصطفى كامل . ولكنها لم تنقطع أبداً .
ولما آلت الرعامة إلى فريد . حاول الحديو أن يتنطف لفريد وأن
يكسبه لضمه . وقد قبل هد التصف بمحمد فريد أول الأمر .
إلا أنه لم يثبت أن أحس أن هذا التنطف من قبيل المصافحة
الرسمية التي تتم بين المتلاكين . في حلقة الملاكمة . فاستعد له
محمد فريد . وكان للحديو كما كان للإنجليز لكلمات مصيبة
شديدة .

إنه لم يدع للحديو أن بدأ فرصة الانحرف عن طريق الوصية
المستقيم . حينما أراد الإنجليز أن يعدلوا عن سياسة الشدة معه ،
ليبدأوا سياسة التهدير والإغراء التي عرفت بسياسة الوفاق .
بعد أن عزل اللورد كرومر وحل محله السير الدول حورست ،
كان محمد فريد يصني حديو شواصاً من ذر كلما رأى هذا
الانحراف .

وقد كان من حملاته على الحديو والإنجليز مقالا افتتاحياً
نشره في جريدة « الشعب » :
« لما بدأ السير حورست سياسته الجديدة الموسومة بسياسة

ووافق كنت في مقدمة من حذر الأمة منها في أول خطبة عامة
ألقينها في تياترو الشيخ سلامة حجازي في ١٧ إبريل سنة ١٩٠٨
فأبست ما يعود على الأمة من مصار بسب اتفاق صاحب السلطة
الشرعية مع الخسب .

وقد نفذ صبر الخديو من صعد محمد فريد للتحديد فرماه
وبقيه قصاره من أساء الحرب الوطني بالتسريح . فلم يسكن
محمد فريد على هذا المرحوم . فرد عليه قولا .

« لا أدري ما نرى حمل سمو الأمير على اعتسارنا متسرعين
ومعجبين في صلب الدستور مع أن مدتنا لم تتغير من سنة ١٩٠٧
إلى الآن . بل ما زالت هي هي تحت مبادئ التي أساسها طيب
الخلاء وطيب الدستور . والتي تم عليها لانفاق في حياة
المرحومين لطيف باشا سليم ومصطفى باشا كمال في ٢ ديسمبر
سنة ١٩٠٦ قبل أن يعينها المرحوم مصطفى باشا كمال في حصته
بالسكندرية في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٠٧

وقد اقصى ذلك كله إلى نتيجة الختمية . أن يكون محمد
فريد هدفاً لاصطهاد الإنجليز والحكومة لمصرية . وهذا ما دعاه
إلى المنحرة إلى تركه في ٢٦ مارس سنة ١٩١٢ . فهل أخطأ . أم
هل أصاب ؟ ومادام كان يحدث له أنه بقي في مصر حتى أعلنت
الحرب العالمية في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ .

أما هجرته في ذلك حين . أي في التاريخ الذي وقعت فيه .
 هم يكن عليها عمار ، لأن محمد فريد ، وهو صديق . بعد أن
 ارتضت أسسه ، بالكتاب المذكور . وأصبح معروف الاسم لدى
 المحافل الكبرى ، كان يستطيع أن يخدم قضية مصر . وهو
 خارج مصر . أكثر من الخدمة التي كان يؤديها . وهو
 داخلها . وسيف رفعة ولاصطفاد وألحق معنى فوق رقبته .
 ولا شك أنه حينها سافر إلى تركيا . ثم يكن يتوقع أن الحرب
 الكبرى ستعبر بعد هجرته إليها . سنتين ونصفه شهر . ولو
 تكشف له حجب العيب . لفكر طويلاً في مشروع الصحرة
 الذي عزم عليه ثم نفذ .

ونكنا مع ذلك نرى أن وجود رعيم على رأس الحركة التي
 يقودها . واتصاله المباشر . بصداقتها وجودها . يريد لها قوة .
 وكل اصطفاذ بقصه . برفع من قدره . ويريد من نفوذه .
 فاهجرة لا تحوز إلا حين يشك أن الخطر متجاوز حرية رعيم
 إلى حياته فهو يحب هجرة . لأنها تنفذ الحركة جميعاً . وتبقى
 عندها . وتضمن لها الحياة . وقد لا يكون من المصادفة بحيث أن بها حر
 الأنبياء الثلاثة موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام . في الوقت الذي
 يسع لأشهرهم إلى حد التكبير في اعتقادهم . وحينها لا يكون ثم
 سبيل للراحة غير نمرار . ولست أشك في أن محمد فريد ، إذا

بقي في مصر . حتى إعلان الحرب العالمية . فإنه كان يقصى فترة الحرب . في الاعتقال . ولكنه كان سبقي الزعيم المدحر للحركة الوطنية طول هذه الفترة . وأكأن استمرار اعتقاله بعد أن تضع الحرب أوزارها صرباً من انخافه لم تكن بريطانيا تقدم عليه ولم يكن الشعب في حاجة إلى أن يبحث له عن زعيم في سنة ١٩١٨ . بل كان زعيمه اعترف له بالسبق . وعصل وقدره هو محمد فريد عبر مارع . وما قامت إلى حوار زعامته . زعامة أخرى تنافسها ولكانت زعامة مهيمنة فعلا للقيام بتعانيها تعرف مبادئها وتعرف أساليبها . وتعرف ماذا تريد .

ولم تكن مصر لتصبح الوقت الذي ضيعته في الخلاوت التي نشأت بين أبناء المدرسة المعتدلة الدين كانوا لا يرون حيراً من التعاون مع الإحتلير . في ذلك الحين مما جعل الخلاف بينهم قاصراً على مدى هذا التعاون ودرجته الاسم الذي يسمى به هذا التعاون في معاهدات والاتفاقات .

ولا شك أن محمد فريد . كان ينفحه بالحركة الوطنية الأنحاه الذي تأخر ربع قرن من الزمان . انحاء الشعب الصريح وفساح المكان اللائق للفلاحين ولعمال وأبناء الطبقة المتوسطة الصغيرة . فإن رجلاً يقول في ٧ يناير سنة ١٩١٠ :

« لعمال في بلادنا مهمليون كالنملح فلا قانون يلزم المقاول

بدفع تعويض لمن يموت شهيد عمله أو يفقد أحد أعضائه فيصبح
عديم الكسب، ومن الأمثال العامة أن القاعن (دبته أجرتة) ولا
الحكومة تمكرك في الدفاع عنه فهي لا تشعل كد قلمها ولا بدفع فواتر
الديون بالاثنتين الأحاب، أو هي شبه شركة لاستغلال وادي
النيل.

«نقايات لعمال قوة هائلة تحصص لها الحكومات وتطأطي
رأسها أمامها ونفصل مجهودات هذه النقابات وضعت قوانين في
إنجلترا وفرنسا وألمانيا تضمن لكل عامل في الصناعة أو الزراعة
معاشاً سنوياً متى يبلغ سناً معلومة.

ولم يكن لديه ما يسد به الرمق ويمنعه من التكنف ولقد كان
هذا القانون يربط على تغيير أساس ربط الضرائب
إن من كان يقول هذا في سنة ١٩١٠ . وماذا عساه يقول
في سنة ١٩١٨ ؟ وماذا كان يقول بعد ذلك .

إن محمداً هريداً ، لو عاش في مصر ، وامتد به العمر ،
لكان رعيها عالمياً . بقي مصر ، وبقي الشرق العربي كله ، بل
بقي لشرق الأوسط ، ما تورط فيه ، وما زال يعديه من الحيرة بين
المداهب والمبادئ ، ولعرف هذا الشرق منه نفسه . أو عاد إليها ،
ولم يلق كما كان مصدراً . لمعرفة أصيغه ، ومسعى لخصارة مبيغة .



i13985127

B12575681

DT
107
R3x
1955

رضوان مفتحي
أخى المواطن

Manal
Fikry

79/480

JAN 6 1982

021784

SEP
1973

DT
107
R3x
1955



DT
107
R3x
1955

دار المعادف

تدبر لنشأة "مروية"
... سنة واثنية عشر من أعمارهم

المكتبة الخضر للأطفال

حقة جديدة مبتكرة واثقة
القصص الخيالية الد

• تيمم بها كل قطر من الأقطار العربية
لأبصار من أقر تلك الكتاب العربي

• تيمم بها حقة واثقة
لأبصار من متعة جميلة لمعزهم ولأبصارهم

• جعفر بها حكاية الله والدة
لأبصار من فروع لغزهم ورسولهم

• تيمم بها رجال التنوية والتعليم
لأبصار من فروع لغزهم ورسولهم
والأبصار من فروع لغزهم ورسولهم

صدر عنها

- | | |
|---------------------|----------------------|
| ١ . أطفال الفايضة | ٤ . القصة العجيبة |
| ٢ . سندباد | ٥ . البجعات المزعجة |
| ٣ . السلطان المسحور | ٦ . الأميرة المستارة |

ثمن النسخة بـ ١٥ قرشا - نسخة كرتونية بـ ٢٠ قرشا